452

HARLEQUIN

روايات أحلام

الوصية

ربيكا ونترز

www.elromancia.com

مـــرمـــوريـــة

الوصية

ورثت غرير و أختيها بعض المال... و لكن كان هناك شرط لترث هذا المال، على كل واحدة منهن ان تجد زوجاً!
لم يسبق أن سمعت غرير وأختيها بأسخف من هذا الشرط لذا لم يأبهن للأمر و قررن بدل ذلك قضاء عطلتهن في الريفييرا الإيطالية ...و لكن أخر شيء توقعته غرير هو التقاء "أمير"... الأرستقراطي الإيطالي الرائع "ماكس دو فارانوا". فهل يكون هو العريس المطلوب!

لبنان:	3000ل.ل	البحرين:	1دينار
سوريا:	100ل.س.	السعودية:	10ريال
الأردن:	1.5دينار	مصر:	8جنيه
الكويت:	750فلس	المغرب:	15درهم
الإمارات:	10دراهم	تونس:	2.50دينار
قطر:	10ريال	عمان:	1ريال

روايات أحلام

تصدر عن شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م
المدير المسؤول: آمال سابا الهاشم

حقوق النشر والطباعة والتوزيع باللغة العربية
محفوظة لشركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م.
بترخيص خطي من Harlequin Books S.A

كل الحقوق محفوظة، بما فيها نسخ الكتاب بكامله أو جزء منه بأي شكل من الأشكال
تم نشر هذه الطبعة بالاتفاق مع شركة Harlequin Books S.A

العلامة التجارية Harlequin وشعار Joey هما ملك شركة Harlequin Books S.A
وهما مستعملان هنا بترخيص منها

كل شخصيات هذه الرواية وهمية. أي شبه بين هذه الشخصيات وأشخاص
حقيقيين أحياء كانوا أم أمواتاً هو محض صدفة

العنوان الأصلي لهذه الرواية باللغة الإنكليزية:
To catch a Groom
First Puplished in Great Britain 2004
Harlequin Mills & Boon Limited
©Rebecca Winters 2007
Translation © Dar El-Farasha - 2009
ISBN 978 - 9953 - 15 - 463 - 3

شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م. طريق المطار - سنتر زعرور -
ص.ب: 8254/ 11 هاتف/ فاكس: 450950 - 453115 -1-0961 - بيروت - لبنان
Email: info@darelfarasha.com - http:www.darelfarasha.com

أعزائي القراء

لأننا عوّدناكم دائماً على أجمل الروايات العاطفية... ولأننا نعرف أن قراءنا لا يرضون بأقل من الأفضل... ولأن هدفنا دوماً المحافظة على واحة حب تخفّف من وطأة الآلام والهموم في عالمنا... لهذا، اخترنا أن تكون هديتنا إلى قرائنا هي انضمامنا إلى أسرة هارلكوين Harlequinالعالمية.

لماذا هذا الاختيار؟

لأن شركة Harlequinهي رائدة الروايات الرومنسية في العالم أجمع، وهي تتعاون مع أفضل الروائيات في هذا المجال، وتصدر شهرياً أكثر من ٧٠ عنواناً جديداً.

ستظل روايات أحلام على سابق عهدها من حيث اختيار القصة الشيّقة والأسلوب الرفيع واللغة السليمة... والتغيير الذي ستلاحظونه هو في زيادة عدد الروايات شهرياً، وتنوع الموضوعات لتناسب جميع الأذواق، وسيكون لمشاركتكم باختيار المواضيع المفضلة لديكم وبأسماء الروائيات اللاتي أحببتموهن، الدور الأساسي.

بكل إخلاص
أسرة أحلام

ريبيكا وينترز

أم لأربعة أولاد، ومعلمة سابقة.

تركت مهنة التدريس حيث كانت تدرس اللغتين الفرنسية والإسبانية. أصبحت اليوم قادرة على تمضية المزيد من الوقت مع أسرتها، والقيام بالأسفار وكتابة الروايات لـ «ميلز أند بونز». تلك الروايات التي تحبها كثيراً.

يمكنكم زيارة موقعها على الإنترنت:
http: www. rebecca winters-author.com

١ - الوصية

١٤ نيسان، كينغستون، نيويورك.

أدركت غرير داتشس أنّ شقيقتيها في حالة قلق فقالت: «لقد انتهينا تقريباً يا بنات. بالنسبة إلى تشرين الثاني هل اتفقنا على أن نعتمد مقولة أن جنجر روجرز فعلت كل ما فعله فريد أستير، لكنها فعلته نحو الخلف وبحذاء عالي الكعبين؟».

قالت أوليفيا: «كما سبق وقلت من قبل، ليس كل من اشترى رزنامتنا يعرف من هي جنجر روجرز».

- هذا لا يهم، أليس كذلك؟ رسم بايبر رائع للغاية بحيث يفسر دوماً ما نقصده.

كانت غرير تعشق الكاريكاتور الجديد الذي يمثل لويجير وفيولينا، زوجي الحمام الإيطاليين، العاشقين.

بينما كانت بايبر تقوم بالرسم تولت أوليفيا أمر المبيعات. لكن غرير هي القوة الدافعة وراء مشاريعهما ومحركها.

- ننتقل إلى شهر كانون الأول. أمامنا خيارات: وراء كل رجل عظيم امرأة. على الرجل أن يفعل ما يفعله الرجل، لكن المرأة تفعل ما لا يستطيع أن يفعله الرجل.

نهضت بايبر وتمطت ثم قالت: «أعجبني هذان القولان منذ سمعتهما منك».

فأجابت أوليفيا: «وأنا ما زلت أحبهما. إن ذهنك الحاد لا ينفك عن

www.elromancia.com

التأثير فيّ، يا غرير. نحن نثق بصحة حكمك على الأمور. علينا أن نذهب الآن وإلا تأخرنا عن قراءة وصية أبي. يُفترض أن نكون هناك في العاشرة».

- لا بأس. أديري محرك السيارة ريثما أرسل هذه الرسالة إلى دون عبر الانترنت. لن يستغرق ذلك سوى ثانيتين.

شعرت بالارتياح لأن تقويم السنة القادمة سيكون جاهزاً للتوزيع في شهر أيار الذي لا يبعد سوى أسابيع قليلة. كان «دون جاردين»، أحد الشبان الذين تخرج هي وشقيقتاها معهم، هو صاحب دار النشر وقد خدمهن كثيراً.

لسوء الحظ أنه يلمح دوماً إلى أنه يريد لعلاقتهما أن تصبح جادة، فهو يحبها حقاً، لكنها لا تحبه. وقد بدأت مؤخراً تجد أعذاراً كي تتوقف عن الخروج معه. ليتهما بيقيان صديقي عمل...

كانت الطلبات تنهال عليهن من كافة أنحاء البلاد منذ عيد الميلاد، ما يعني أرباحاً وافرة لها ولشقيقتيها. ولأول مرة منذ خمس سنوات، سيتمكّنّ من ان يستثمرن جزءاً من عائداتهن بينما يضعن البقية في شركتهن.

من الطبيعي أن يعني ذلك المزيد من المال «الدون». ما سيسعده، ربما بما يكفي لكي يغفر لها.

وبعد أن فتحت جهاز الاجابة، اندفعت إلى خارج قبو شقتها لتلحق بشقيقتيها.

عندما ينتهين من هذه الزيارة إلى مكتب المحامي كارلسن سينسين أحزانهن بالتركيز العمل على توسيع أعمالهن.

وبعد عشرين دقيقة وصلن إلى الشركة القانونية في كينغستون في قلب نيويورك حيث قادتهن موظفة الاستقبال إلى غرفة الاجتماعات.

حالما جلسن، دخل السيد كارلسن متأبطاً ملفاً قانونياً. صافحهن محيياً، ثم أخذ مقعداً له إلى طاولة الاجتماعات

- طلب مني والدكن أن أقرأ لكنّ رسالة كتبها بخط يده.

فتح الملف وسحب الرسالة ثم تنحنح: «إلى بناتي العزيزات غرير وبايبر وأوليفيا اللاتي اعتدت دوماً أن أدعوهن «حماماتي الغاليات». لقد رزقت بكن بعد أن تجاوزت الخمسين من العمر بعد أن يئست من إمكان منح أمكن أولاداً. إذا جمعكن ولتر كارلسن لقراءة هذه الوصية، فهذا معناه أن حياتي الشاقة انتهت أخيراً، وأنكن علمتنّ أن منزلي المتواضع ينبغي أن يباع لسداد نفقات علاجي.

«كنت أتمنى لو أترك البيت، لكني لم أتمكّن من ذلك. على الأقل كيلا أغرقكن في الديون. سيدفع ولتر ما يتوجّب عليّ من دين، وهو يعلم أنكن بحاجة إلى وقت للعثور على منزل تعشن فيه. لهذا، سيبلغكن متى تتركن البيت.

«ما يحزنني هو أني لم أر لدى أيّ منكن أي دليل على ميلها إلى الزواج. وكان هذا يقلق أمكنّ قبل موتها ويحزنني.

أتذكر آخر كلماتها لكنّ: «عليكن الزواج في أقرب وقت، وتأسيس أسرٍ خاصة بكنّ». وهذه وصيتي أنا أيضاً لكنّ الآن.

«لهذا سأترك لكل واحدة منكنّ مبلغ خمسة آلاف دولار من مدخراتنا أنا وأمكنّ، ويمكنكنّ إنفاقه متى رغبتنّ طالما تستعملنه للبحث عن زوج يساعد الواحد منكن على الاستمتاع بهذه الحياة إلى أقصى حد».

«ستستلمن هذه الشيكات اليوم وهي مصحوبة بكل حبي. أدرك أنكنّ ستكنّ على ما يرام لأنكنّ ذكيات وموهوبات ومدبّرات وقد أنشأتنّ عملكن الخاص عبر الانترنيت منذ تخرجكنّ من الجامعة. على أيّ حال، ستكتشفن عندما تنفقن هذه النقود في مجالها الصحيح، أن في الحياة أكثر من مجرد كسب المال.

«وأنا أصرّ هنا على أن تبقين في مكتب ولتر لمشاهدة اللوحات الكلاسيكية التي كانت مفضلة لدى أمكنّ. افرحن معي واجعلنّ أباكن

العجوز سعيداً. لا أتمنى لكنّ سوى الأفضل يا بنات، فأنتنّ وأمكنّ كنتنّ سعادتي الكبرى.

التوقيع: والدكن المحب، «ماثيو داتشس»

شباط... كينغتون، نيويورك

عندما أنهى السيد كارلسن قراءة الرسالة ورفع بصره، نظرت غرير الشقراء إلى شقيقتيها الجالستين إلى الطاولة. تدهورت صحة والدهنّ منذ فترة طويلة، ولا بدّ أن الدين هو نتيجة العناية الفائقة والمكلفة بوالديهنّ. ولم تكن فكرة الإرث قد خطرت لهن قط، فتفاجأن مفاجأة كبرى حين وجدنَ أن أباهنّ ترك لهنّ مبلغاً من المال.

لكن ما أفسد متعة هذه المنحة بالنسبة إلى غرير، هو معرفتها أن هذا المبلغ جُمع من صندوق التوفير.

كما عارضت فكرة أن يرغمها ذلك على مشاهدة فيلم سبق وعرضته أمها العزيزة المرحة مرات لا تحصى، وهو فيلم يحكي قصة ثلاثة نساء قررنَ أن يتزوجنَ ورسمنَ خطة للعثور على مليونير. على أيّ حال لم تستطع الأم أن تجعل غرير تشاهد الفيلم لأن الفتاة وجدت فكرته سخيفة.

إذا شاءت امرأة أن تحصل على مال فهي لا تحتاج إلى رجل. كل ما عليها أن تفعله هو أن تصبح مليونيرة باجتهادها الخاص.

لكن أمها ولدت في عهد تختلف نظرته تماماً إلى دور المرأة في الحياة. وبما أنها كانت حالمة جداً، أطلقت على بناتها أسماء ممثلات السينما المفضلات لديها وأنشأتهن على الحكايات الخرافية.

وبينما كانت شقيقتاها تنتشيان عندما تنتهي الحكاية بوقوع الأمير الوسيم في حب الفتاة فقط لأنها رائعة الجمال، كانت غرير غالباً تكدرهما باختلاق نهاية زائفة.

كانت تفضل أن تستعمل البطلة البريئة العاجزة الجميلة، عقلها لتتصور مشروعاً مالياً يجعلها تشتري القصر والأرض من الأمير الساحر

الذي يحتاج إلى أكثر من مجرد الوسامة ليكسب قلبها وتتزوجه.

وكانت غرير قد صدمت أمها عندما أخبرتها أن من اخترع الحكايات الخرافية هذه رجل من دون شك.

ولا يعني هذا ان غرير تكنّ ايّ عداء للرجال بل هي تعشق الخروج معهم، لكنها ترفض اي علاقة جادة حالياً.

أمامها الكثير من الوقت في المستقبل للزواج، لقد تزوج والداها في وقت متأخر بعد أن أصبحا جاهزين للاستقرار وتكوين أسرة، وهذا يناسبها تماماً.

غالباً ما كانت غرير، وهي الأخت الكبرى، تصّر على مقولة «الكل للواحد، والواحد للكل». وهي تقول لأختيها إنّ الزواج يفسد متعة العمل الذي بدأنه من الصفر. وعادت تنظر إلى المحامي: «هل علينا أن نبقى لرؤية الفيلم؟».

- إذا اردت مبلغ الخمسة آلاف دولار، هذا هو شرط أبيك. وإذا لم تشائي رؤية الفيلم فعليّ أن أتبرع به لمؤسسة للسرطان.

ورفع حاجبيه: «بالمناسبة، رأيت هذا الفيلم مرات عدة واستمتعت به في كل مرة».

أدارت غرير حدقتي عينيها غير مصدقة، مستعدة للهرب، لكن شقيقتيها لم تتحركا. وفي أعماقها أدركت السبب.

لم يكن المال مشكلتهن أبداً، لكنهن لم يستطعن الخروج الآن، فسيكون أشبه بخيانة ذكرى أبويهنّ. وبما أنهن يدركن أنه كان لهنّ أروع والدين في العالم، تسمّرن في مقاعدهنّ.

وانتظرت غرير بينما أخذ المحامي الذي هو في السبعينات من عمره يدني جهاز التلفزيون منه.

جلست في الكرسي الجلدي مستعدة للمعاناة عبر مشاهدة قصة أخرى كتبها من دون شك رجل من أجل الرجال.

لم تجد الفيلم اسوأ مما توقعت وحسب بل إنّ السيد كارلسن التصق

بالشاشة وقد جمدت عيناه. وبعد عشر دقائق، كان عليها أن تعض شفتها كيلا تنفجر بالضحك. ألقت نظرة على أختيها فأحست بأنهما تعانيان من المشكلة نفسها. لكن، واحتراماً لتمنيات والدهن، استطعن أن يتحكمنَّ بأنفسهنَّ.

عندما اقترب العرض من نهايته، ساد صمت مطبق في الغرفة قبل أن يدرك السيد كارلسن أن الوقت حان لاطفاء الجهاز.

التفت إليهنَّ: «هل تكفي ثلاثون يوماً لإخلاء المنزل؟».

فأجابت غرير: «سبق وانتقلنا إلى شقة السيدة ويلاند في الشارع المقابل».

قالت غرير وهي تدفع إليه مغلفاً: «المفاتيح في هذا المغلف ومعها ورقة تحوي عنواننا الجديد وأرقام هواتفنا الخلوية..».

ثم وقفت تستعد للذهاب.

وقف المحامي ببطء ودفع إليهنَّ بشيكاتهنَّ: «أنتنَّ من الروعة والاستقلالية حسب ما وصفكن والدكنَّ. ومع ذلك، أرجو لمصلحتكن، أن تعملنَ بوصيته».

وخصَّ قبل أن يضيف غرير بنظرة: «لم تُخلق النساء ليعشن وحيدات».

لم يكن ثمة شك في إخلاص الرجل لكن تعليقه صادف انه أحد تعليقات الرجال على النساء التي ظهرت على تقويمهن السنة الماضية وهو تعليق صادف نجاحاً ساحقاً.

لم تجرؤ غرير على النظر إلى شقيقتيها وإلا لانهارت مكانها، فقد تملّكتها الرغبة في الضحك إلى حد لم تستطع احتماله. عليهنَّ أن يخرجن من هذا المكان بأسرع ما يمكن.

- شكراً لك يا سيد كارلسن.

واتجهت غرير إلى الباب والشيك بيدها، تتبعها شقيقتاها.

استقلت الفتيات المصعد المزدحم ثم وصلنَ بمعجزة إلى سيارة أبيهنَّ

المتوقفة عند الزاوية، قبل أن ينفجرنَ بالضحك.

- بعد أول صورة لبيتي غريبل، ظننت أننا سنحضر الإسعاف للسيد كارلسن.

- إنه جيل ميؤوس منه.

- كان الفيلم فظيعاً.

- لكن أمنا رحمها الله عشقته.

- كما كان أبي يعشقها هي!

- ونحن أحببناهما. إذن، ماذا علينا أن نفعل بالنسبة إلى...

فقاطعتها غرير: «كلا... لا تقولي كلمة. البيت»...

عندما توقفت السيارة عند منعطف الشارع المار من عند بيتهنَّ القديم، نظرت أوليفيا من فوق كتفها إلى غرير الجالسة في المقعد الخلفي: «علينا ان نشتري سيارة جديدة».

فأجابت غرير أختها المندفعة: «في هذه اللحظة؟».

- ولمَ لا؟

وقبلَ أن ترفض غرير الاقتراح هزّت بايبر رأسها: «لا يمكننا. بخمسة عشر ألف دولار يمكننا ان نشتري بيتاً جديداً فما رأيكن؟».

ردت غرير العملية الطبع بتذمر: «إنني من الارهاق بحيث لا استطيع التفكير».

كانت أختاها تعلمان أن أموال صندوق التوفير لا يمكن إنفاقها وتمتمت أوليفيا: «تقول السيدة ويلاند إننا بحاجة إلى إجازة».

اراحت بايبر رأسها على نافذة السيارة: «كم أحب السفر إلى جزر الكاريبي».

- ومن لا يحب! لا يمكننا ذلك.

قطبت الاختان: «ولمَ لا؟».

مالت غرير إلى الأمام: «لأننا في شهر نيسان. وعندما نستطيع ترك العمل، سنكون في شهر حزيران. وثمة إعصار شديد».

- وما أدراك؟

- أخبرتني بذلك وكيلة التوزيع جان. إنها تذهب إلى هناك لتمارس الغطس في شهر شباط حيث يكون الجوّ رائعاً.

- وماذا عن «هاواي؟».

غضنت أوليفيا أنفها: «الكل يشكو من كثرة السياح هناك. أنا أفضل الأمكنة الأكثر غرابة مثل تاهيتي».

- السفر بالطائرة وحده يكلّف كثيراً.

التفتت الاختان إلى غرير: «ماذا تقترحين إذن؟».

كانت عينا أوليفيا تماثلان لهب الكبريت عندما تتملكها الحماسة: «سنلعب لعبة الزوج الذي نصطاده في مكان رائع مثل أوستراليا حيث الشواطئ الأجمل في العالم. أنت محقة سيدة ويلاند. فنحن لم نأخذ إجازة منذ سنوات».

فقالت بايبر وقد التهبت عيناها الخضراوان: «لم يقل بابا إن علينا أن نتزوج».

فقالت غرير: «أنت محقة. كل ما قاله هو :يمكنكن التصرف بالمال بالطريقة التي تخترنها طالما ستستعملنه للحصول على زوج. وبخمسة آلاف دولار يمكننا أن نذهب إلى مكان مثير لقضاء أسبوعين. إنني متلهفة لزيارة الشعاب الصخرية الكبرى».

فقالت بايبر وهي تبسط يديها أمامها: «انتظري لحظة، اينما قررنا قضاء إجازتنا، لديّ فكرة رائعة عن تحضير طعم يجذب الرجال بسرعة!».

فابتسمت أوليفيا: «اراهن على أنني أدرك ما تفكرين فيه».

كما فهمتها غرير إذ شاهدن جميعاً ذلك الفيلم الأحمق. وسألت: «أتعنين أن نقلب الامور وندّعي أننا مليونيرات؟».

- ولمَ لا؟

هذا صحيح، لماذا لا؟ وأدركت غرير أن هذا مناسب. لكن إذا

نجحت مشاريعهن المهنية، فسيكون نجاحهن في الثلاثين من العمر جيداً جداً.

وقالت بايبر بلهجة تمثيلية: «إسمعن يا بنات. لدينا ما يناسبنا أكثر من المال. لدينا اللقب! «سيداتي سادتي. أقدم إليكم دوقات كينغستون!».

كانت غرير لا تزال تحدّق بأختها الموهوبة بعجب، عندما قالت أوليفيا فجأة من دون تفكير: «قلادة الدوقة!».

سألتها غرير: «وماذا عنها؟».

تقول الحكاية التي رواها لهنَّ أبوهنَّ إنّ أحد الصاغة صنع القلادة لدوقة بارما المعروفة باسم ماري لويز دو بوربون وقد حفر على ظهر القلادة الحرفان «د» و«ب».

وعندما ماتت، ورث القلادة أحد أولادها ثم وصلت إلى إحدى الحفيدات التي أورثتها بدورها حتى وقعت في يد أبيهن.

وفي عيد ميلادهنَّ السادس عشر، حمل والدا غرير القلادة إلى صائغ فصنع لهما قلادتين مماثلتين فأصبح لكل منهنَّ قلادة.

حينذاك، احتضن الابوان كل واحدة منهن ومنحاها القلادة قائلين: «هذه ستبقى ذكرى لأولادكن».

وبعد إحدى عشرة سنة لا تزال الفتيات الثلاث عازبات. افترضت غرير أنهن سيتزوجن يوماً ما، ويؤسسن عائلات. إنما لم تكن تعلم متى، ولا يهمها هذا مثقال ذرة.

قالت أوليفيا ضاحكة: «فكرا يا دوقتي العزيزتين أين نجد شاطئاً جميلاً حيث يمرح الشبان متطلعين إلى الزواج من نساء يحملن ألقاب ومجوهرات الاسرة؟».

- «الريفييرا» طبعاً.

فصرخت أختا غرير: «طبعاً».

- ما عدا أننا جئنا من سلالة غير شرعية لأسرة بارما - بوربون.

- ومن يهتم بذلك. نحن أقارب!

- هذا إذا كانت القصة حقيقية.

قالت بايبر: «كان بابا يؤكد إنها كذلك. وإلا ما الذي أوصل الميدالية إليه؟».

فقالت غرير: «ربما ألّف شخص ما حكاية عنها، حكاية أضيفت إليها التفاصيل على مرّ السنين. ومع ذلك نحن نمتلكها ولم يستطع أحد أن يثبت أننا لسنا أقارب. على أي حال، لقد أعطتني فكرة، نحن نعلم أن ماري لويز حملت ثلاثة ألقاب: دوقة كولورنو. دوقة بياستزا. دوقة كواستالا. فإذا حملت كل واحدة منا لقباً لتثبت علاقتنا بها، يمكننا بذلك أن نحصل على كل الشبان الذين نرغب فيهم».

حدّقت الشقيقتان برهبة في عيني غرير اللتين كانتا بلون عيني دوقة بارما البنفسجيتين وقد بلغ حب الدوقة لزهرة البنفسج حداً جعلها توقّع رسائلها بهذه الزهرة بدلا من إمضائها.

ارتسمت ابتسامة ذات معنى على وجه أوليفيا: «أرى أن نبدأ من شاطئ الريفييرا الايطالي فنتوجه إلى بارما وكولورنو لنرى القصور التي عاشت فيها، ثم نتابع طريقنا على طول الشاطئ إلى الريفييرا الاسباني والفرنسي. وسنعلن إلى أننا في إيطاليا لنزور ... أقاربنا الملكين؟».

كان ذهن أوليفيا يخرج أحياناً بافكار بالغة الذكاء. وقالت غرير فجأة: «سنعمل أثناء وجودنا هناك. يمكننا أن نسجل رحلتنا خطياً فنستعيد نفقات رحلتنا هذه. لن يكون من الصعب أن نجد من يترجم تقاويمنا إلى لغات أخرى وينشرها لنا. وقد يشكل هذا بداية شيء هام حقاً».

لمعت عينا بايبر: «فيما يصبح فيوليتا ولويجيو حديث البيوت في أنحاء اوروبا، لن ننسى أن نحقق رغبة أبينا في العثور على أزواج».

- وستأتي لحظة الحقيقة عندما نبتسم لهم بحلاوة ونعترف بأننا دوقات أميركيات فقيرات... دون تيجان مرصعة. فإذا أرادوا أن يلغوا طلبات زواجهم...

هزت بايبر رأسها لغرير: «أنت خبيثة».

فقالت أوليفيا موافقة: «وفظيعة!؟».

- ليس بقدر فظاعتهم. هيا بنا نخطط للأمور اثناء تناولنا الغداء.

كانت بايبر أولى الخارجات من السيارة، وتبعتها أوليفيا. وقالت غرير: «إذا أسرعنا فيمكننا أن نقدم طلبات جوازات السفر اليوم. السفر بالطائرة غير مكلّف هذه الأيام. وهذا خبر جيد لأننا سنكون بحاجة إلى ملابس جديدة».

- إذا أردنا أن نقوم بهذا الأمر بشكل جيد، فربما علينا أن نستأجر يختاً خاصاً.

- لا أظن أن باستطاعتنا دفع أجرة يخت.

- ما من ضرر من السؤال. ربما لو كان يختاً صغيراً...

عندما أصبحن داخل الشقة، أسرعت غرير إلى الكمبيوتر وأخذت تبحث متنقلة بين مكاتب الرحلات البحرية، بينما أخذت شقيقتاها تتسكعان في أنحاء الشقة.

- همم... أخشى أن الإيجار يفوق قدرتنا. أفضل ما يمكننا فعله هو استئجار قارب شراعي يتسع لاثني عشر راكباً. أما الكلفة فهي خمسة آلاف دولار عن الشخص الواحد في الاسبوع، هذا إذا كان المركب ممتلئاً عند الإيجار. هذا ليس حسناً.

مالت بايبر فوق كتف غرير: «ابحثي عن المراكب الشراعية البسيطة، يقولون إنها أرخص».

عندما ظهرت المعلومات على الشاشة، درسن أسماء القوارب، ثم قالت أوليفيا: «انظري. هذا اسمه البكسيوني».

كانت غرير تعلم أن هذه الكلمة الايطالية تعني «الحمامة»... وكان أبوهنّ يدعوهن دوماً «بحماماته» تيمناً بدوقة بارما الجميلة التي كانت تربي حماماً أبيض.

بحثت عن معلومات أكثر وأخذت تقرأ: «هذا المركب الشراعي

الأبيض خالي من العيوب يستوعب من ثلاثة إلى ستة ركاب ويضم ثلاثة ملاحين، ووسائل الراحة. كما يقدم ثلاث وجبات يومياً. الكلفة ثلاثة آلاف دولار للشخص الواحد. عشرة أيام في البحر الابيض المتوسط. للاتصال: «ف. موريتي. فرنازا - إيطاليا».

وكزت أوليفيا غرير بمرفقها: «هذا معقول. لا بد أن هذا قدرنا! اتصلي بهم واسأليهم إن كان لديهم أماكن شاغرة لهذا الصيف او بداية الخريف».

- هل يهم أي شهر؟

هزّت الاثنتان رأسيهما.

بعد أن أرسلت غرير السؤال، انضمت إلى أختيها في المطبخ. أكلن ثم أخذن يبحثن في الأنحاء عن بطاقات هوياتهن. وبعد أن وجدنها سعين للحصول على جوازات السفر، وقررن أن يعدّلن تسريحة شعورهنّ بشكل يناسب مظهر الدوقات.

وبعد ساعة، اتجهن عائدات إلى البيت. وفي الطريق لاحظت بايبر وكالة سفريات فطلبت من أوليفيا أن توقف السيارة لتدخل وتحضر بعض الكتيبات السياحية عن فيرنازا.

واعترفت غرير بأن المكان أشبه بالفردوس. إحدى أنظف بقاع الشرق الاوسط. زيارة فيرنازا هي زيارة إلى مملكة الطبيعة والعطور البرية. خمس قرى معلقة بين السماء والبحر، ومتشبثة بالصخور ومحاطة بالتلال الخضراء. من يزورها يمكنه أن يختار بين الغطس والتجوال بين التلال والتمشي في الطرقات الضيقة، أو رحلة في الزورق إلى الكنيسة.

كانت بايبر أول من وصل إلى الكمبيوتر بعد دخولهنّ الشقة.

- وصلنا جواب على رسالتنا عبر الانترنت!

فانحنت غرير وأوليفيا فوق كتفها وهي تقرأ لهما: «شكراً لسؤالكم. نظراً إلى إلغاء غير متوقع، يمكن السفر في الثامن عشر من حزيران».

وأخذت بايبر تقفز على كرسيها، ثم تابعت القراءة: «أنت محظوظة

جداً، فالعشرين من الشهر هو موعد منح «الجائزة الكبرى» في موناكو حيث لدينا أحواض للسفن. إذا شئت أن تستفيدي من ذلك فعليك أن تخبرينا فوراً».

استدارت بايبر في كرسيها: «إنها موناكو، يا بنات. أوليفيا، ربما تتمكنين من رؤية سائق سيارة السباق الفرنسي البالغ الوسامة الذي تذكرينه دوماً، ذاك الذي يجعل فريد يبدو تافهاً في كل مرة تذكرينه؟».

فقالت أوليفيا وعيناها تلمعان: «إنه ذنب فريد الذي عرفني إليه».

وخطر لغرير أن التعرف إلى دوق إيطالي يمكنه أن يزودهن بالوثائق التي تثبت علاقتهن بدوقة بارما أكثر أثارة.

- بايبر. اسألي إن كانوا يقبلون أن ندفع لهن ألف دولار أخرى على الشخص على أن نستقل المركب وحدنا.

- آه، لقد نسيت هذا، يا غرير. إنها فكرة جيدة، لا أجرؤ على أن أخبر توم عن هذا وإلا رغب في مرافقتنا هو أيضاً.

- ما لا يعرفه لن يؤلمه. الامر ليس كما لو أنك تحبينه حقاً.

- وما أدراك؟

- هل تحبينه؟

- ربما.

- إذن، ابتعادك عشرة ايام عنه لن يؤثر على علاقتكما. صح؟

- أظن ذلك.

أنهت غرير طباعة السؤال وأرسلت الرسالة بسرعة. وأثناء انتظارهن الجواب، أخذت غرير تدرس الخريطة التي تحوي تفاصيل عن منطقة ساحل البحر الابيض المتوسط.

وصدرت عن بايبر صرخة ابتهاج أخرى: «إنهم يسألون إن كان بإمكاننا ان ندفع المبلغ كاملاً الآن».

فقالت غرير: «من الأفضل قبل أن نلتزم، أن نستعلم عن إمكانيات السفر بالطائرة».

فقالت أوليفيا: «سبق وسألت. ما من حجوزات إلى ميلانو وروما وبولونيا، لكن بإمكاننا أن نجد مقاعد إلى جنوى في السادس عشر من شهر حزيران على أن نعود في التاسع والعشرين من الشهر نفسه».

عادت غرير إلى الخريطة: «المسافة حوالى خمسين ميلاً عن «فيرمازا». يمكننا ان نستقل قطاراً ثم نعثر على فندق ليومي ١٧ و٢٨. احجزي في هذه الطائرة لنا، أوليفيا!».

التفتت بايبر إلى غرير: «كيف علينا ان ندفع للمركب؟».

أخرجت المحفظة من حقيبة يدها: «خذي. استعملي بطاقة الاعتماد هذه لتدفعي كامل المبلغ. دعيهم يعلمون أن «الدوقة كينغستون» من اسرة بارما بوربون تريد حجزاً لثلاثة اشخاص وأنك تريدين أن يبقى هذا الامر سراً».

عندما انتهين من القيام بذلك، تعالت ضحكاتهن وترددت بين جدران غرفة الجلوس. قالت أوليفيا: «هذه فكرة جيدة يا غرير. أصبحنا واثقات الآن من أن الخبر سيتسرب. سيكون علينا أن نصل بمظهر مثير».

فصرخت بايبر: «آه... خطر لي أمر آخر الآن. أتذكرين الفيلم عن الفتاة الاميركية التي وقع خطيبها في غرام فتاة باريسية؟ أتذكرين ذلك الثوب المدهش الذي كانت ترتديه؟».

رفعت أوليفيا حاجبيها الانيقين: «ومن يمكنه أن ينسى؟ علينا أن نبحث عن ملابس غالية الثمن وقبعات... ربما قبعة او اثنتين؟».

قال بايبر: «بالأضافة إلى القلادات».

- بالضبط، الرجال الذين سنجعلهم هدفاً يلاحقون نساء يلبسن مجوهرات. من دون مساعدة الصائغ لا يميزون بين الأصل والزائف.

- اتفقنا إذن! سنصل إلى إيطاليا ونحن نضع قلاداتنا، ونرى ما سيحدث. ما دمنا سنقيم في فندق في أول ليلة نصل فيها، فسوف نقوم بعرض كبير. أي فندق هو الأفخم في جنوى؟

- ثانية واحدة، يا أوليفيا؟

عادت بايبر مرة اخرى إلى الانترنت: «همم... ماذا عن «سبليندير» المفضل لدى الملكيين الذين يشرفون منه على «مرفأ بورتوفينو» وهو المنفذ إلى الريفييرا».

- ألف ومئتا يورو في الليلة لنا نحن الثلاث. يبعد عن المطار حوالى خمسة وعشرين ميلاً. وستقلنا سيارة ليموزين فاخرة. أتظنّ يا بنات أن هذا يستحق ما ندفعه؟

أومأت أوليفيا وغرير إيجاباً.

- سأرى إن كان بإمكاننا ان نحجز للسابع عشر من الشهر. وحتى الثامن والعشرين من الشهر، سنستمتع بوقتنا. وإذا نقصت نقودنا فسنمكث في نزل للشباب.

ضاقت عينا غرير: «سيكون النزل مناسباً جداً لدعوة أزواجنا المستقبلين عندما نلقي بقنابلنا الصغيرة».

فقالت أوليفيا ضاحكة: «أنت بدون قلب».

وقالت بايبر لغرير: «أنت جبانة».

فأجابت هذه ببراءة: «هل تُرك لسندريلا أي خيار عندما تحولت العربة إلى يقطينة في طريق عودتها إلى بيتها لتتركها مع فردة واحدة من حذائها الزجاجي؟ كل ما علينا أن نعرضه أثناء الحفلة الراقصة هو القلادة التي كنا نضعها حين وصولنا؟».

٢ - صدفة غريبة

١٧ حزيران. مجلس اللوردات. إنكلترا

- سادتي اللوردات، سنبدأ بسماع بيان الافتتاح من السنيور «ماكسيمليانو دي ڤارانو من أسرة بارما بوربون». ، إنه رئيس المحامين المستشارين لاتحاد مزارعي إميليا - رومانيا في إيطاليا الذي رفع أحد أعضاءه دعوى قانونية ضد السوق المركزية للمملكة المتحدة الذي يمثله اللورد «وينثروب».

وفي مجلس اللوردات، وللمرة الثانية خلال العام، وقف ماكس عازماً على أن يجبرهم على إحالة القضية إلى محكمة العدل الأوروبية لاستصدار قرار نهائي.

شكر الحاضرين بإنكليزية لا لكنة فيها، وذلك بفضل المدرسة الخاصة التي درس فيها والسنوات الاربع في جامعة إكسفورد، فضلاً عن رحلاته المتعددة إلى الولايات المتحدة وكندا مع أبناء عمومته.

- لكي أنعش ذاكرتكم، بروسيتو دي بارما أو لحم الخمل المربى في شمال ووسط إيطاليا منذ زمن طويل مشهور في كافة أنحاء العالم، واسمه ماركة مسجلة.

«تاج الدوقيو. . . التاج الذي يرمز إلى دوقية بارما القديمة، هي الضمانة الخارجية لأصالته. وتبعاً للقانون الايطالي، يجب أن يظهر هذا الرمز على كل منتج، مهما كان نوعه. إذا ما اشترى الزبون اللحم كاملاً، او الشرائح المقطعة، يجب أن تحمل الماركة المسجلة. إذا ما

اشترى شرائح موضبة فيجب أن تطبع الماركة على الكيس.

«تباع هذه المنتجات للسوق المركزية للمملكة المتحدة التي توزعها للمستهلكين. لكنها ولسوء الحظ تُباع دون ختم الماركة المسجلة. يرى إتحاد بارما التجاري أن هذا العمل يتعارض مع القانون الايطالي ومع القانون الاوروبي أيضاً. في الاجراءات القانونية الحالية، يطالب الاتحاد التجاري بمنع تسويق منتجات بارما حتى تصدر المحكمة الاوروبية قرارها النهائي. وأترك الآن الكلام للورد «وينثرب».

وعندما جلس ماكس مكانه، ناوله مساعده برنالدو قطعة ورق.

أخذ يقرأ الورقة، لكن ذهنه كان مركزاً على القضية التي يناقشونها إلى حد أنه لم يفهم ما في الورقة، إلا بعد أن قرأها للمرة الثانية: «سكرتيرك في كولورنو تلقى لتوّه اتصالاً من رئيس الامن في مطار «كريستوفور كولومبو» في جنوى. عليك ان تتصل «بفاوستو غالي» على الرقم «٥٥٥٣٢٨» في أقرب وقت ممكن. إنها معلومات سرية هامة للغاية».

معنى هذا أن الامر لا يتعلق بأسرته المباشرة، او عائلته الكبرى. وتملكه الارتياح وهو يضع الورقة في جيبه بعد أن قرر أن يتصل بالسنيور غالي في فترة الاستراحة.

أصغى ماكس إلى المداخلة حوالى عشر دقائق قبل أن يصل هذا إلى بيت القصيد: «أرى أن دور اتحاد بارما في التأكد من أن المنتج الاصلي وحده هو الذي يباع كلحوم بارما يبطل حالما يخرج المنتج من منطقة بارما. وأترك الكلام مجدداً للسنيور دي فارانو».

مرة اخرى هب ماكس واقفاً: «أودّ وبكل احترام أن أرفع هذه القضية إلى المحكمة الاوروبية، لئلا نبقى في طريق مسدود ما لا يحقق شيئاً لأي من الطرفين».

وتبع قوله هذا إعلان القاضي اللورد «ماربوري» استراحة مدة ربع ساعة. وكان الفضول يتملك ماكس لمعرفة سر مخابرة جنوى، فأخرج هاتفه الخلوي وطلب الرقم المدوّن على الورقة. وسرعان ما سمع صوت

رجل: «آلو سنيور فارانو؟».

- نعم؟

- يشرفني الحديث إليك. لدى بعض الأخبار التي أظن أنها تهم أسرتك. وبما أنك تهتم بشؤونها القانونية، شعرت أن من الحكمة أن أنبهك أولاً.

- تابع حديثك، يا سنيور.

- منذ نصف ساعة، نزلت ثلاث نساء أميركيات من الطائرة القادمة من نيويورك وقد احتجزهن رجالي بحجة وصول معلومات عن مسافرين مشكوك في أمرهم قادمين على الطائرة نفسها. في الحقيقة، اكتشفوا ان كلا منهنَّ تحمل قلادة الدوقة.

قال ماكس وهو يهز رأسه ساخطاً: «كل منهن؟ هذا مستحيل!».

ثمة قلادة واحدة فقط، لكنها قد تكون في أي مكان لأن مجموعة مجوهرات دوقة بارما سرقت منذ اكثر من عام من مكان عرضها في قصر الاسرة في «كولورنو».

كانت القلادة أقل المجوهرات قيمة من الناحية المالية، إلا أن قيمتها التاريخية والعاطفية كبيرة بالنسبة إلى أسرة ماكس.

- هل استشرت خبيراً؟

- نعم، وقد أخذت صور أثناء الاستجواب وقارنها الخبير بالصورة الفوتوغرافية للقلادة التي أعطيتها أنت للشرطة بعد السرقة، فجاءت مطابقة تماماً.

تملكت ماكس الدهشة بينما تابع الضابط كلامه: «هذا هو سبب اتصالي بك يا سنيور فارانو، هل تريدني أن أصادر القلادات لأخذها للفحص؟ لا تعرف النسوة الاميركيات حتى الآن، سبب احتجازهن».

- هذا حسن، دعنا نترك الأمر الآن عند هذا الحد. اقدر لك فطنتك وسرعة بديهتك يا سنيور غالي. تصرفت بشكل جيد جداً. على أيّ حال، تلقينا إرشادات كثيرة منذ عمّ خبر السرقة وقُدمت جائزة لمن يعيد

المجوهرات. عليّ أن أعترف بأن هذه المزحة الصغيرة التي قامت بها بعض الاميركيات الوقحات تهدف للفت الانتباه، لكني أتساءل لماذا.

- هذا هو رأيي بالضبط خصوصاً عندما أصبحت المزحة أكثر غرابة.

- أوضح ما تعنيه.

- إنهن أخوات.

- أتعني راهبات؟

- كلا، كلا. إنهنَّ في السن نفسها وتاريخ الولادة نفسه.

- أتعني ثلاث توائم؟ لا يرى المرء هذا كل يوم. كم أعمارهنَّ؟

- سبعة وعشرون عاماً.

- سبعة وعشرون فقط وقد دخلوا طريق الإجرام؟

- وجميلات جداً؟

- جميلات طبعاً.

- تقول أوراقهنَّ الرسمية إنهنَّ دوقات كينغستون من نيويورك.

دوقات كينغستون؟ وحوّل ماكس نظره إلى لورد وينثروب. إذا كان هذا اللقب موجوداً، فسيعرفهن اللورد على الفور.

- أنا في لندن لسوء الحظ ولا أستطيع العودة إلى جنوى قبل المساء لكي أتحقق من هذا الامر. هل عرفت سبب حضورهن إلى إيطاليا؟

- يدعين أنهن في إجازة. تحققت من المعلومات التي أعطينها لنا، وتأكدنا من أنهنَّ قطعنَ التذاكر في «سبلينديدو» هذه الليلة واستأجرن مركباً شراعياً للغد..

- من «بورتوفينو؟».

- لا، بل من «فيرنازا».

تحوّلت ابتسامة ماكس إلى عبوس، هذه المفاجأة الصغيرة المذهلة أقرب من أن تكون مصادفة.

منذ عامين، قدم قرضاً لصديقه فابيو وأخويه الصغيرين بعد أن غرق والدهم في البحر في مركب صيد الاسرة، والأخوة الثلاثة يعيشون الآن

www.elromancia.com

من العمل كملّاحين في المراكب السياحية.

لقد سدّد له صديقه دينه كله رغم أن ماكس لم يطلب او حتى يتوقع منه ذلك. وبالإضافة إلى رعاية أخويه أصبح لفابيو زوجة وهي حامل الآن بطفلهما الثاني. وبما إنهم يملكون المركب السياحي الوحيد للتأجير في تلك المدينة الصغيرة التي نشأ فيها ماكس، فهو يعلم بالضبط أين سيجد الأميركيات. هذا إذا كنَّ ينويننَّ اتباع برنامجهنَّ عندما يصبح بوسعهنَّ مغادرة المطار.

- يمكنك أن تطلق سراحهن يا سنيور غالي، ولكن ضعهن تحت المراقبة المشددة. وعندما أعود من رحلتي سأتصل بك.

- تصل بالسلامة.

بعد انتهاء المحادثة، دوّن ماكس ملاحظة على ورقة، وطلب من برنالدو أن يسلمها باليد إلى اللورد وينثروب، قائلاً: «أحضر لي الجواب منه».

انطلق برنالدو ليعود بعد دقائق قليلة حاملاً ورقة فتحها ماكس متلهفاً لقراءة الجواب: «يسرني أن أقدم لك العون، يا ماكس.

خلف «إفلين بيربونت» جده بصفته دوق كينغستون الثاني. في البداية كان معروفاً بعلاقته «بإليزابيت تشادلي» التي ادعت أنها دوقة كينغستون. لكن لقب كينغستون انطفأ بموت الدوق قرابة العام ١٧٣٣. لم ينجب أولاداً. وارجو أن تجد في هذا جواباً على سؤالك».

رفع ماكس رأسه وابتسم للورد وينثروب الذي بادله ابتسامته.

وهكذا، تلك النسوة الاميركيات لم يكنَّ مدّعيات جريئات وحسب بل أظهرن وقاحة ودهاءً في إطلاق لقب إنكليزي إنطفأ منذ أكثر من مئتي سنة على أنفسهن.

ما اللعبة التي يلعبنها بحضورهنَّ إلى أيطاليا وهن يضعن قلادات مماثلة للقلادة المسروقة؟ من أين أتينَّ بهذه الفكرة؟ ولماذا؟

* * *

- أود لو أركض إلى الغرفة وأرتدي ملابس السباحة لكني أشعر بتعب شديد.

- رحلة الطائرة أتعبتني أنا ايضاً. انا ذاهبة إلى السرير. هل أنت قادمة يا غرير؟

- في غضون دقائق...

أسرها عبق الليل المعطّر، فلطالما حلمت بالقدوم إلى إيطاليا. ورغم أن تسعين بالمئة من أسلافهنَّ إنكليز وايرلنديون واسكتلنديون، إلا أن أباهنَّ كان يفضل جذورهم الايطالية والنمساوية وقد نقل عدوى ذلك الحب لغرير.

- لا بأس، إنما لا تحدثي ضجة عند عودتك.

قالت فيما خطواتها تبتعد: «أعدك بذلك».

بعد اجتماعات عمل عدة تمكنّ من الانطلاق في أوروبا، وبعد عشاء متأخر توجهنّ إلى كنيسة «سان جورج» لزيارتها.

ومن هناك، جلن في الحدائق الاستوائية على أراضي دير «سبلينديرو» الذي يعود إلى القرن السادس عشر، وانتهينَ أخيراً عند بحيرته المطلة على مدخل المرفأ.

كانت أذنا غرير تلتقطان همسات الاحاديث والضحك من رجال وسيمين ونساء يستمتعن بالحياة وهي تقف بجانب شجرة نخيل، مرتدية ثوباً مذهل الجمال بلونه البرتقالي. وتلاقت نظراتها بنظرات رجل كان يسبح بسرعة ومرونة كسمكة قرش ضخمة سوداء. واستقرت نظراتها على الرجل البرونزي اللون ذو الشعر الداكن، الحسن البنية. وفجأة خرج من الماء إلى حافة البحيرة.

وظهر أن لسمكة القرش ساقان.

ساقان قويتان تحملان جسماً طويلاً ما لفت نظرات الاعجاب من النساء ونظرات الحسد من الرجال.

عدم اهتمامه الكلي بما حوله أكد حس الاستشعار لديه الذي حدد

هدفه التالي.

وأرسل لاوعيها رسالة مفادها أنها أرادت ان ترى ما إذا كان يعيش حسب فكرتها عن حياة الفتى العابث.

كل شيء فيه حدثها بذلك...

من وجه النسر الذي تشكلت عظامه الايطالية وتهذّبت على مدى القرون، وعينيه السوداوين المتألقتين اللتين تشبهان بركانين ينفثان الحمم في ظلمة السماء. نظرة حميمة منهما جعلتها تشعر كأنها تذوب كالحمم.

أخذ النبض في أسفل عنقها ينبض بقوة. رأته يتأمل القلادة. لقد ابتلع الطعم. ستبتهج بايبر حين تعرف أن اقتراحها حمل تراث الاسرة نجح منذ الليلة الاولى في إيطاليا.

قال بصوت عميق وإنكليزية ذات لكنة إيطالية ثقيلة: «رأيتك تتمشين منذ فترة يا سنيوريتا».

اهتزت أعماقها للرجولة الواضحة في صوته، وسرت في كيانها رعشة لذيذة رغم دفء الليل فيما تابع هو: «ظننتك ستأتين إلى البحيرة».

أجابت بجرأة وهي تلقي بحذرها في مهب الريح: «لاحظتك أنا ايضاً. ولهذا لم أصعد مع أختيّ إلى الطابق العلوي».

فهمس لها بلهفة وكأنه يقول إن حياته تتوقف على ذلك: «اسبحي معي».

- أنا لا ألبس ثوب سباحة.

- وهل هذا مهم؟

هذا السؤال جعلها تحبس أنفاسها.

كان بإمكانها أن تعبث معه فترة وتستمتع بكل دقيقة لكنها لم تشأ أن تغامر مع القدر.

- كلا.

وما أن نطقت بهذه الكلمة حتى رأت عينيه تلتهبان.

أتراها أدهشته بجوابها؟ على حد علمها، ليس لأسماك القرش مشاعر

آدمية بل وحدها الغريزة هي التي تقودها إلى أقرب فريسة.

حسناً... دعنا نرى كم من الوقت يستغرق ابتلاعك لي... وبعناية بالغة، خلعت حذاءها الذهبي وتركت ساعتها الذهبية وحقيبتها ذات المقبض الذهبي على طاولة بقرب البحيرة، ثم قفزت إلى الماء.

وبما أنهن عشن قرب نهر «هدسن ريفر» طوال حياتهنّ، علّم الأب غرير وأختيها كيف يكنّ سابحات قويات فأصبحت السباحة رياضتهن المفضلة الممتعة.

كان قاع هذه البحيرة مبلّطاً بشكل رائع فغاصت أكثر لتتمكن من رؤيته بشكل أفضل، لكن يدين قويتين أمسكتا بها وجذبتاها إلى سطح الماء.

ظهرت على السطح وقد التصق شعرها الذي يصل إلى عنقها برأسها. ولسوء الحظ، لم يكن هذا ما أزعجها، بل حقيقة أن ثوبها ارتفع وفضح أكثر مما تود أن تُظهر.

ورغم أن وجهه الحذاب لم يكن يبعد عن وجهها سوى سنتمترات قليلة، إلّا أنها لن تدع ملامحها تفضح عن مدى حذرها.

- لم نتعارف بشكل كافٍ. إسمي غرير دتشيس.

- غرير.

كرر الاسم بنعومة فائقة، وطريقة رائعة الجمال: «اسمك مثلك، فريد بجماله، ما الذي يحضر امرأة أميركية رائعة الجمال مثلك إلى ايطاليا؟».

حان الوقت لكي تروي القصة التي تدرّبت عليها، فأجابت: «جئت مع شقيقتيّ إلى هنا لنزور بعض الاقرباء».

- أحقاً؟

- نعم. كانت جدتي الأولى دوقة «كولورنو».

التمعت عيناه السوداوان تقديراً: «أنت تشيرين إلى ماريا - لويجيا أميرة النمسا، وعميدة اسرة بارما بوربون».

إنه أذن يعرف تاريخ ايطاليا إلى حد يمكّنه من تمييز قلادة الدوقة! كان

www.elromancia.com

هذا سهلاً إلى حد مخيف.

تلهفت إلى ان تخبر بايير وأوليفيا بانها عثرت على فتى عابث حقيقي في أول ليلة لهن. كل ما عليها القيام به الآن هو العبث معه فترة قبل أن تجعله يعرض عليها الزواج.

عندما تكشف له حقيقتها، سيفلت من الصنارة ويسبح بعيداً عنها. عندئذ، ستتمكن من الاستمتاع ببقية هذه الاجازة الاسطورية، مدركة أنها التزمت بشرط إنفاق المبلغ على البحث عن زوج. وأجابته: «نعم. هذا صحيح. نحن الشقيقات الثلاث أميركيات نتحدر من سلالتها».

ولم تجد ضرورة لأن تضيف أنهن من «السلالة غير الشرعية». وتابعت: «الآن بعد أن أخبرتك بشيء عن نفسي، أحب أن أعرف من تكون».

تكلمت بصوت ضمنته كل ما يمكنها من إغراء فأجابها مداعباً: «ولماذا لا تخمنين اسمي؟».

حدّقت في جمال رجولته الذي لا يصدّق، ونطقت بأول كلمة خطرت لها: «الويجيو».

لوى شفتيه بتسلية: «لا».

لم يسبق لها قط أن شعرت بمثل هذا الاهتمام، لكن ثمة شيء في هذا الرجل أشبه بأكسير الحياة في عروقها، يزيد من شجاعتها. وقالت له بابتسامة متألقة: «ربما سيأخذ هذا وقتاً طويلاً».

هزّ كتفيه العريضتين قبل أن يجذبها لتقترب منه أكثر: «كنت في رحلة عمل في لندن، والآن أنا في إجازة طوال الاسبوع القادم وما من شيء أحب إليّ من أن أمضي كل ثانية منها معك، يا جميلتي».

كل ثانية؟ هذا يعني ليلاً نهاراً. شعرت بأنه يعني ما يقول. وسرت في جسدها رعشة.

لم تجد غرير عيباً في هذا الإيطالي الذي يجذب القلوب... ولعله ترك لتوّه في لندن امرأة، وهو الآن يبحث عن غزوته التالية.

وما دامت تمثل له الطعم، بمجوهراتها ولقبها، فلِمَ لا تتسلى لفترة من الوقت، أولاً؟ وخطر لها أن هذا سيشكل خبرة جديدة لها.

- لسوء الحظ، أنا وشقيقتاي سنغادر إلى «فرنازا» عند الصباح ولن نعود.

- أنا أعرف «فرنازا» جيداً، وما دمت لم تظهري اي خوف من الماء فيسرّني أن آخذك إلى كهف سرّي لا يمكنك الوصول إليه إلا بالسباحة تحت الماء.

فقالت باسمة: «مثل إدموند دانتر» الذي عثر على كنز «آبي فاريا». على جبل «مونت كريستو». هل سأكتشف ذهباً وفضة ولآلئ ثمينة؟».

جمد جسمه القوي العضلات قبل أن يميل برأسه الجميل ذي الشعر الأسود الذي بدا جعداً رغم البلل: «هل هذا ما تبحثين عنه؟».

تملكها إحساس بأنها قالت شيئاً لم يتوقعه... شيئاً حيّره: «ألا يبحث الكل عن الكنز الذي يجلب السعادة الأبدية؟».

- السعادة الابدية؟ أتساءل ما قد يكون هذا؟

تمتم بهذه الكلمات وكأنه يحدث نفسه فيما نظراته تتأمل ملامحها المليئة بالانوثة.

المغامر يتحوّل إلى فيلسوف؟ إنه ممثل أفضل مما كانت تظن.

- بفضل الكسندر دوماس، نحن نعرف أمراً واحداً...

- هذا صحيح.

كان وجهه قريباً من وجهها بحيث شعرت بدفء أنفاسه فيما تابع قائلاً: «رغم أن كونت مونت كريستو تمكّن من الانتقام من أعدائه، إلا أنه لم يجد السعادة على الإطلاق».

- لكن رواية دوماس كانت حكاية خيالية.

ومرة اخرى التمعت عيناه السوداوان كنار تحترق على تلة بعيدة، وقال: «إذا شئت، فسآخذك إلى جزيرة «مونت كريستو». إنها ليست بعيدة عن فرنازا. قد تجدين هناك ما تطمحين إليه».

www.elromancia.com

إنه يعني نفسه طبعاً. وجاهدت كيلا تضحك من غرور هذا الرجل. وقالت: «ربما».

- هل هذا يعني...

قاطعته بابتسامة غزل: «إنه يعني «ربما» والآن أنا متعبة وعليّ أن أودّعك».

- لكن الوقت لم يتأخر، كما أنك أصغر من أن تتعبي.

- هذا صحيح، لكننا وصلنا لتوّنا من رحلة بالطائرة وقد احتجزتنا الشرطة مدة ثلاث ساعات بالضبط. كان ذلك مرهقاً للغاية.

- آسف لحدوث هذا الأمر الفظيع لك في بلادي. لماذا فعلت الشرطة هذا؟

- قال ضابط الأمن إن ثمة شخص مشتبه فيه في طائرتنا، وأخذ، هو ورجاله، أقوال الذين كانوا جالسين قريباً منه.

- هل استطعت أن تفيديهم؟

- لا أدري، حاولنا أن نتذكر الناس الذين كانوا جالسين من حولنا، لكنني لم أشتبه بأحد. وعندما أفرجوا عنا أخيراً، كل ما أردناه هو الوصول إلى الفندق لننام.

فقال بعطف: «طبعاً».

وتأملتها عيناه مقيّماً، ثم قال: «لحظة..».

واشار إلى نادل وقال له شيئاً بإيطالية سريعة فأومأ الرجل ثم توارى.

رأى السؤال في عينيها فقال موضحاً: «طلبت منه أن يحضر لك عباءة تلبسينها في طريق عودتك إلى غرفتك. مظهرك هذا يجب ألّا يراه الكل».

لقد مثل دوره بشكل جيد، فاتن النساء هذا الذي يدعي الشهامة لئلا يصبح وغداً كاملاً.

قالت بسرعة بلغتها الايطالية المحزنة: «شكراً، يا سنيور... الغامض».

فانفجر ضاحكاً، وكان هذا أول رد فعل غير رقيق ومهذب يصدر

عنه.

في هذا الجزء من الثانية استطاعت أن تلمح ما يخفيه من شخصيته تحت تلك القشرة الكاذبة وشعرت بجاذبية عنيفة تشدها إليه، جاذبية لم تعرفها من قبل.

ولم تشأ أن تتعمّق أكثر في مشاعرها التي اضطربت فجأة، فمالت إلى الخلف لتهرب من قبضته، ثم توجهت إلى الناحية الاقل عمقاً من البحيرة. يمكنها أن تستعمل الدرجات، وتحافظ على شيء من كرامتها.

على أيّ حال، استطاع أن يسبقها ويحميها بوضع العباءة البيضاء حول كتفيها. وتملكتها حيرة بالغة للسرعة التي عاد بها النادل مطيعاً من دون سؤال.

رفعت إليه عينيها البنفسجيتين تقابل بهما عينيه العميقتين الملتهبتين: «شكراً، كنت أشعر بشيء من العجز».

- مثل «فينوس». وهي تصعد من البحر؟

اختطفت ساعتها وحقيبة يدها من على الطاولة حيث وضعتها، وهي ترتجف. وقبل أن تقرر ما إذا كان عليها أن تنتعل حذاءها او تحمله، دس إصبعه تحت سوار الساعة الذهبي: «سأصطحبك إلى غرفتك. لا يمكن ضمان سلامة امرأة مثلك. بحالتك المرهقة هذه، لن تستطيعي مقاومة رجل يحاول أن يختطفك إلى بحيرة لقضاء الليل..».

هذه الصورة التي اختلقها أرسلت رجفة في كيانها.

قبل هذه الرحلة، كانت غرير تتصور الفتيان العابثين شباناً ظرفاء يأتون ويذهبون بسهولة.

وحدثتها غريزتها بأنه رجل خطير، من النوع الذي لا تستطيعي أن تخبريه ببساطة بأسفك وتنهي علاقته بك.

إنه الرجل الذي يقرر بنفسه أنه تعب من العبث، فيضع حداً لذلك، وحتى ذلك الحين سيبقيها مأسورة بحيث لا يمكنها الاختباء.

وجعلتها نشوة الشعور بالخطر تُسرع في سيرها. وعندما وصلا إلى

المصعد، كانت في حالة من الذعر منعتها من إخراج مفتاح غرفتها من حقيبة يدها.

عندما توقف المصعد في الطابق الثالث، عاد إليها تعقلها، وحدثت نفسها بأن عدم النوم هو ما سبّب لها حالة الاضطراب هذه. ستترك الفندق غداً. وبما أنها لا تنوي رؤيته مرة اخرى، استطاعت أن تبتسم له بثقة متجددة.

بعد هذه الرحلة الطويلة عبر الأطلسي، والتي تبعها احتجاز الشرطة لهنَّ لثلاث ساعات في المطار، فقدت توازنها تماماً، وإلا لما سمحت لرجل غريب عنها تماماً بأن يلاحقها.

بِمَ يمكن أن يفكر رجل مثله وهو يرى امرأة تلقي بنفسها في الماء لتسبح بكامل ثيابها، وذلك بغرض اصطياده؟

كانت هذه الليلة فترة اختبار. وأخذت تتأمل ما فعلته بنفسها وقد توترت أعصابها، شاعرة بمشاعرها تقارب الهستيريا.

لكنها تعلّمت من ذلك. وغداً سيكون يوماً جديداً مليئاً بمزيد من الشبان العابثين والإمكانيات الجديدة.

وصلت إلى باب غرفتها في الفندق ففتحته. ولكن قبل أن تدخل شدّها إليه وقال: «إلى الغد».

فقالت وهي تغلق الباب وتقفله: «وداعاً».

هنأت نفسها لانها وصلت إلى غرفتها سالمة ثم سارت لتجلس على أقرب كرسي تستعيد توازنها وسقطت حقيبتها على الارض. فتذكرت أن حذاءها ما زال معه. لا بأس، إنها بغنى عنه. في الحقيقة لم تشأ أن تراه مرة اخرى، لا هو ولا حذاءها.

٣ - فرار ... ولقاء

أضيئت الغرفة: «غرير؟».

وما أن رأت شقيقتاها حالتها، نزلتا من سريريهما وتوجهتا نحوها.

- ما الذي جعل ثوبك مبتلاً؟

- من أين لك هذه العباءة؟

- اين حذاؤك؟

انهالت الأسئلة عليها.

لم يفتها مزيج النصر والسخرية المتألق في أعماق عينيه السوداوين قبل أن تغلق الباب لتمنعه من الدخول.

نظرت إلى أختيها. لم تشعر في حياتها بمثل هذا الاهتزاز الذي تشعر به الآن، وقالت: «إنني في مشكلة كبرى، يا بنات. علينا أن نرحل من هنا الآن! سأخبركما بما جرى في سيارة الاجرة».

وخلعت عنها العباءة وملابسها المبللة.

- في الفندق سائق واحد فقط.

- حسناً، سنستدعي سيارة أجرة إذن. هل يمكن لإحداكما ان تقوم بذلك. اطلبي أن يكون هنا بعد ربع ساعة.

- إلى أين سنذهب في مثل هذه السرعة؟

- سنعبر الحدود إلى فرنسا. سنذهب بالسيارة إلى أقرب مطار ثم نذهب في أول رحلة إلى أي مكان يبعدنا عن إيطاليا قدر الإمكان.

- لا بد أنك تمزحين.

هزت رأسها المبلل لأوليفيا نفياً فهمست بايبر: «سبق ورأيت هذه

www.elromancia.com

النظرة من قبل، إنها لا تمزح».

وتبعتاها إلى الحمام وهما تسألان: «هل يتعلق ذلك بالسبب الذي حجزتنا الشرطة من أجله في المطار اليوم؟».

خلعت ساعتها وقلادتها، شاعرة بمكان لمسته يحرقها: «كلا».

- أشتّم رائحة رجل.

إزاء تخمين أوليفيا البارع، احمر وجه غرير. وشعرت بالامتنان لوجود الزجاج المزخرف الذي يحيط بحوض الاستحمام ويمنع الرؤية، رغم أنه ذكرها بذلك الذي على أرض البحيرة.

الأرض التي لم تستطع أن تتفحصها عن قرب لأنها كانت ضائعة في المشاعر التي أثارها فيها شخص ما زال ذكره يجعلها ترتجف حتى الآن.

- ما ظننت أن ثمة رجل يمكن أن يجعلك تهربين.

- إذا كان لا بد أن تعلمي، فاعلمي أني اشتبكت مع سمكة قرش.

فقالت بايبر غير مصدقة: «في البحيرة؟».

- هذه السمكة لديها رجلان وذراعان...

وجاذبية يجب أن تُلغى من الوجود، كما خطر لغرير وهي تتأوه في داخلها أثناء غسلها شعرها.

- هل عاملك بخشونة؟

فأجابت: «ليس تماماً».

- هددك؟

ارتجفت غرير: «ليس بالكلمات».

- إذا كنت تريدينا أن نخرج من الفندق الآن بينما نحن لم ننم سوى ساعتين، فمن الأفضل إذن أن تخبرينا حقيقة ما حدث.

كانت أوليفيا على حق.

بعد أن خرجت من الحمام، أخذت غرير منشفتين كبيرتين لفت شعرها بواحدة، ولفت الاخرى حول جسدها، ثم سارت خلفهما إلى الغرفة الاخرى.

جلست شقيقتاها على سريريهما تنتظرانها، بينما جلست هي على سريرها: «لدي شعور فظيع بأنني غير قادرة على الفهم، وبأن نتائج ما حصل قد تكون خطرة. والذنب في ذلك ذنبي أنا، طبعاً».

وقفزت واقفة غير قادرة على الاسترخاء: «في البداية بدت لي فكرة أن أعكس الظروف بالنسبة إلى فتى أوروبي عابث ممتعة للغاية وفيها تحدّ، إلى أن..».

قالت بايبر: «إلى أن قابلت الليلة رجلاً حقيقياً».

فأومأت غرير وهي ترتجف: «كان في البحيرة كأدونيس بإمكانه ان يهزم أي سبّاح أوليمبي. وعندما خرج..».

وتواترت الصور أمام عيني غرير التي لم تستطع أن تصدق ان ثمة رجلاً بهذه الجاذبية.

- ما دمت لا تستطيعين ان تجدي الكلمات فقد شكلت لدينا صورة. هل رماك في البحيرة من دون إذن منك؟

فاحمر وجهها: «لا».

مالت بايبر إلى الامام: «وقعت عن غير عمد».

فأجابت غرير: «لا! ما من شيء كهذا».

- ما الامر إذن؟

- إذا كان لا بد من أن تعلمي، فاعرفي أنه القى نظرة واحدة على القلادة ثم طلب مني أن أسبح معه. كل شيء حدث حسب الخطة التي وضعناها من قبل في كينغستون. ذلك الفتى العابث الرائع يعرف من هي دوقة كولورنو. لقد جاء إليّ بسبب القلادة.

حملقتا فيها: «وهكذا قفزت إلى البحيرة معه؟».

- فتيات أسرة «دتشيس». لا يقفزن هل نسيت؟

فابتسمت أوليفيا: «لم أنس طبعاً. هكذا، غطست برشاقة بملابسك الكاملة لتسترعي اهتمامه».

فقالت: «أظن ذلك».

www.elromancia.com

وامتلأت الغرفة بالضحكات لكن غرير لم تشترك معهن، وقد لاحظتا ذلك.

وعادت بايبر تسألها: «ماذا حدث بعد ذلك؟».

- ثم سارت الأمور بشكل خاطئ.

فقالت أوليفيا: «تكلمي. ماذا فعل؟ دعينا نسمع كل شيء مهما كان محرجاً لك، وإلا فلن ندرك مدى الانزعاج الذي يتملكك».

فهمست: «إنه سيء، صدقيني».

انمحت الابتسامات عن وجوههن: «إنه لم..».

- كلا. ولكن كان بإمكانه أن يفعل أي شيء.

والتهب وجهها فانزلقت بايبر عن السرير: «ظننت انك لو كنت وحدك معه لانتهز الفرصة؟».

فتنفست بحدة: «ما ظننته هو ان ذلك الرجل يفعل ما يشاء، عندما يشاء، ويذهب اينما يريد. يبدو ان القلادة تعني له شيئاً خاصاً».

وأخبرتهما عن حديثهما في البحيرة، مغفلة القسم المتعلق بلمسته التي اعتبرته شأناً خاصاً بها.

- ما اسمه؟

- لا أدري.

أدارت أوليفيا حدقتيها: «غرير..».

فهمست هذه تلوم نفسها بتوتر: «أعرف هذا، لقد ساء الامر أكثر. حاولت أن أخدعه وعبثت معه قليلاً قبل أن أخبره بأنني لن أكون في جنوى بعد غد لأننا سنذهب إلى فرنازا».

- هل أخبرته حقاً بأننا سنذهب إلى هناك؟

- أنا حمقاء يا بايبر، أعرف هذا. لكن هذا حصل قبل أن أدرك مدى خطورته. وبعد ما قاله عن الكهف الفضي وعن الشمس والرمال وعني، حدثتني غريزتي بأنه سيلحق بي إلى هناك بحجة إعادة حذائي إليّ.

بعد قوله ذاك عند الباب، أدركت غرير أنه من نوع الرجل الذي

يعود مرة أخرى.

فتمتمت بايبر: «يبدو لي هذا ممتعاً».

وأومأت أوليفيا: «ولي أنا ايضاً».

فهتفت غرير بذعر: «هذا الرجل... خطر».

- أنت تقولين هذا لأنك لم تعرفي رجلاً بهذه الروعة في حياتك، وانت لا تعرفين كيف تتعاملين مع انجذابك إليه.

- أنا لست منجذبة إليه بايبر!

- بل أنت كذلك.

كانت أوليفيا هي التي قالت هذا، فأجابت غرير: «لا بأس. لكن حتى لو كنت كذلك، فهو من النوع الذي يتجاوز الحدود. عندما قررنا ان ننفق المال، كان علينا أن نلتزم بالفيلم الذي رأيناه في مكتب المحامي كارلسن، ونستهدف الرجل المناسب. فهذا أكثر أمناً من أن نجعل أنفسنا أهدافاً للأغنياء من الرجال العابثين».

فقالت أوليفيا عابسة: «خطتنا ناجحة نظرياً لكنك لم تعتادي على الرجال الايطاليين. من الطبيعي بالنسبة إليه أن يكون عاطفياً للغاية معك. هذه هي عادتهم».

وقالت بايبر: «أوليفيا على صواب، على اي حال، انت جميلة جداً يا غرير. و«دون» لا يستطيع أن يحوّل نظراته عنك. لكنه أميركي، والرجال الاميركيين غير واضحين. انظري كم استغرق من الوقت لكي يصارحك لاول مرة».

قالت أوليفيا: «جربيه ستة اشهر، يا غرير. لعل هذا الغريب منافق، ولعله ليس كذلك. أنت لم تمنحيه فرصة كافية لتعرفي ذلك».

فقالت غرير بحدة: «كان عليك أن تكوني حاضرة يا أوليفيا».

- هذا ليس ضرورياً. انت قلت إن شعره اسود. وبما أنك شقراء وذات عينين بنفسجيتين غير عاديتي الجمال، فلا أستغرب أن ينجذب إليك. لاحظت اليوم عدداً كبيراً من الرجال ينظرون إليك. لم يستطع أن

www.elromancia.com

يمنع نفسه أكثر مما فعلوا هم. أنت قلت إنه تحكم بنفسه.

سرت السخونة في جسم غرير، وأخيراً اعترفت: «ليس تماماً. لقد عانقني في البحيرة و... عند الباب».

فتمتمت أوليفيا: «خطر لي هذا».

وسألتها بايبر: «وهل تجاوبت معه؟».

- كلا بالطبع.

تبادلت أختاها نظرة، قبل أن تقول بايبر: «هذا يوضح كل شيء».

فسألتها غرير: «ماذا تعنين؟».

- أنت من النساء اللاتي يتحملن المسؤولية ويتولين زمام الأمور وقد شعر هو بذلك فعرف كيف يتعامل معك. يبدو أنه سيعرض عليك الزواج قريباً.

- لا أريد عرضاً للزواج. أريد فقط أن ابتعد عنه. ربما علينا فقط أن نعود إلى الوطن.

فقالت أوليفيا: «سنفعل ذلك ولكن بعد أن تنتهي إجازتنا، لا سيما اننا دفعنا ايجار المركب ولا نستطيع استعادته. من رأيي أن نخلع القلادات وندع عنا التصرف كدوقات، ثم نستمتع ببقية رحلتنا كأي سياح عاديين.

فقالت بايبر موافقة: «وهذا هو رأيي أنا ايضاً».

- لكنني أخبرت الرجل الغريب بأنني قريبة دوقة كولورنو.

فقالت أوليفيا: «فات الأوان على الندم لأننا حجزنا المركب باسم دوقة كينغستون. لكننا لن نقول هذا لأي شخص آخر نلتقيه».

- انت تبالغين. وعلى اي حال، إذا ما ظهر حضرة السيد الغامض مجدداً ورغبت في بعض الحماية، سيكون عليه أن يواجهنا نحن الثلاث.

فقالت بايبر: «هذا صحيح. إذا جاء فلن ندعك تغيبين عن أنظارنا ولو لحظة واحدة. ما رأيك بهذا؟».

- نظرياً، يبدو ممتازاً.

- هذا حسن. والآن، بعد أن استقر بنا الرأي فلننم حتى لا يلقوا بنا إلى الخارج. اتفقنا؟

فقالت غرير إنما ليس بالثقة نفسها: «لا بأس..».

وفي غضون دقائق، خفتت الانوار وتكوّرت الفتيات تحت الاغطية، وسرعان ما رأت غرير أختيها تغطان في سبات عميق.

لكن النوم لم يداعب جفنيها سريعاً على عكس أختيها فبايبر وأوليفيا لم تجربا يوماً معنى أن ترصدهما سمكة قرش.

* * *

- نيك، انا ماكس. معي لوك على الخط وهكذا أصبح بإمكاننا ان نعقد مؤتمراً عبر الهاتف.

- لوك!

- أنا هنا يا نيك. يسرني سماع صوتك.

- هذا يذكرني بالاوقات القديمة.

لوك ونيك ابنا عمتي ماكس هما بمثابة اخوين له.

كانت إحدى عمتي ماكس قد تزوجت كارلوس دي باسترامو من ماربللا، في إسبانيا. وتزوجت الاخرى جان لويس دي فالكسون من موناكو. كان الاخوة الثلاثة منحدرين مباشرة من سلالة بارما - بوربون، وتزوجوا من الأسرة المالكة. وكان ماكس يشعر، وهو في بيتهما، كأنه في بيته، كحالهما تماماً حين يكونان في فيلا «فارانو» في كولورنو.

وبما أن أعمارهم تتراوح بين الثلاثة والثلاثين والاربعة والثلاثين فقد انسجموا معاً، سواء في المدرسة او في العطل المدرسية. لكن منذ خمسة أشهر، وقعت كارثة حيث قتلت خطيبة نيك وكاد لوك يفقد ساقه.

هذه الكارثة سلبت ابني عمته حس المرح الذي كان ماكس يظنه طبيعة فيهما.

كما تعرّض هو أيضاً إلى حالة كآبة قبل حادث الاصطدام المروع

ذلك، وإن لم ينتبهوا فستحوّلهم الكآبة إلى شيوخ مسنين قبل الاوان.

يمكنه حالياً ان يستغل رفقتهما، وهو مسرور لأي عذر يجمعهم: «أرجو المعذرة لاتصالي بكما في الساعة الواحدة صباحاً، لكن الأمر هام».

فقال نيك: «ماذا تعني باعتذارك؟ أذكر أني كنت أبقيك مستيقظاً حتى منتصف الليل مدة أسابيع عقب حادث الاصطدام».

وقال لوك يذكره: «وأنت أمضيت النصف الآخر في غرفتي في المستشفى. كان سماع صوتك أشبه بنسمة هواء لمتلهف إلى الهواء النقي».

فقال نيك لماكس: «أنا أوافق لوك الرأي تماماً. الحمدلله على اتصالك. أخبرنا عما تحتاجه فتحصل عليه».

فقال ماكس: «أتظنان أن بإمكانكما ان تمنحاني عشرة أيام من وقتكما؟».

سألاه بلهفة في وقت واحد: «متى؟».

فأجاب ماكس: «بعد حوالى ست ساعات. سيكون في هذا إعادة جمع شمل أنا بحاجة ماسة إليه».

من الصعب تصديق أنهم كانوا ذات يوم متلازمين لا يفترقون ابداً. لم يكونوا يظنون أن مشاكل الناس العاديين ستمس حياتهم يوماً ما.

- أتريدنا أ نوافيك إلى «كولورنو».

شجعه سؤال نيك فأجاب: «لا، بل إلى «فرنازا» على ظهر المركب «بيكسيوني». أنا أريدكما أن تساعداني في قيادته».

شخر لوك وقال: «مع هذه العصا اللعينة التي تساعدني على المشي؟ يؤسفني أن أقول إن الطبخ هو الامر الوحيد الذي أحسنه حالياً».

- أنت تقرأ أفكاري لوك. بما أنك لا تزال غير جاهز للعمل، هذه هي الوظيفة التي خصصتها لك. علمنا من خبرتنا الماضية أننا إذا تركنا الطبخ لي او لنيك، فسنموت جوعاً. سيلعب نيك دور القبطان.

فقال نيك: «لكن هل المركب «البيكسيوني» هنا؟ أعطيت مركبك هذا

لفابيو موريت منذ عامين».

- هذا صحيح، وقد أصبح ملكه بما أنه أعطاني آخر دفعة من ثمنه منذ اشهر.

- هذا حسن منه.

وساد صمت ثقيل فترة ثم عاد وقال: «اعتدت أن أكون ماهراً في قراءة أفكارك. لكن علي أن أعترف بأنك تحيرني. ما الذي يجري؟».

فسأل لوك: «وأين سيكون الأخوة موريتي؟».

- في إجازة غير متوقعة.

- أظنها حالة طارئة.

والتمعت في ذهن ماكس صورة مخلوقة ساحرة تلبس قلادة ذات أهمية بالغة للأسرة وذات عينين بنفسجيتين تنفثان سحراً.

- أنا لست واثقاً مما يجري يا لوك، لكنني أعرف أمراً واحداً، وهو أن علينا أن نضرب الآن.

- نضرب؟

- قد نحصل على استراحتنا الاولى عندما نكتشف الشخص، او الأشخاص، الذين يقفون وراء سرقة مجوهرات الأسرة.

فصدرت صيحة من لوك: «والداي لا يتوقفان عن الحديث عن هذا الامر».

فتمتم نيك: «ووالداي ايضاً. قبل أن أغادر «ماربيلا» إلى مؤتمر أصحاب المصارف في «لكسمبورغ»، سمعت أمي تشكو إلى ابي لأن ضابط الامن لم يعثر على دليل واحد في هذه القضية. بالنسبة إليّ أنا، أرى أن مجوهرات الاسرة نقلت من إطاراتها ووضعت في خزنة شخص ما».

او حول عنق جميل لاميركية مشاكسة!

وتابع يقول: «ربما يهمك أن تعرف أن السنيور غالي ضابط الامن في مطار جنوى، احتجز ثلاث نساء أميركيات دخلن البلاد لأن كلا منهنّ تلبس قلادة الدوقة».

وبعد صمت قصير، قال: «لكن ثمة قلادة واحدة فقط».

وانفجر الثلاثة بالضحك.

كانت هذه ردة فعل ماكس الاولى ايضاً. مجموعة المجوهرات هذه، هي إحدى أكبر كنوز إيطاليا، ومن يسرقها من قصر الدوقية في كولورنو سيكون عرضة لتفتيش شديد.

منذ أكثر من سنة يعمل مفتشو قوى الامن مع إدارة سكوتلنديارد والانتربول لكن من دون نجاح.

- لا بد أن نظر السنيور غالي ضعيف.

- لا أدري يا نيك، قلادة الدوقة التي رأيتها منذ فترة قصيرة بدت حقيقية.

وساد صمت مرة أخرى.

- هل رأيت إحدى القلادات اللاتي كنَّ يلبسنها؟

- نعم يا لوك. عن قرب وبشكل شخصي جداً، إن كنت تفهم ما أعنيه.

استنتاج أن ماكس كان مع إحدى تلك النساء الثلاث اللاتي يحملن القلادات لم يغب عن ابني عمتيه اللذين طلبا منه أن يوضح لهم ما يجري.

- النسوة الثلاث، غرير، بايبر، وأوليفيا، هنَّ ثلاثة توائم شقراوات رائعات الجمال وفي السابعة والعشرين من العمر.

- ثلاث توائم؟

- نعم، لسن متشابهات تماماً. إنهن يؤلفن معاً منظراً محيّراً. تقول جوازات سفرهنَّ إن أسماءهن تنتهي بلقب «دوقة». وهنَّ يعشن في كينغستون في نيويورك. عرفت أنهنَّ يخططن للابحار من «فرنازا» آخر هذا النهار. تبعاً لقول فابيو، المرأة التي استأجرت المركب منه تطلق على نفسها اسم دوقة كينغستون من اسرة «بارما - بوربون».

عكس الصمت المطبق عدم تصديق ابني عمتيه.

وتابع قائلاً: «قمت بتحريات فاكتشفت من مصدر موثوق أن لا

وجود للقب كينغستون هذه الأيام.

فسأله نيك: «أي أخت فكرت في هذه التخيلات الوقحة للفت الأنظار».

تمتم ماكس: «ليس لدي فكرة، ادعت غرير أن جدتهن هي دوقة كولورنو».

فقال لوك: «هذا لا يصدق».

- أوافقك الرأي. الوضع كله لا يصدق، ما كنت لأصدق ما كتبه السنيور غالي في تقريره لو أنني لم أتبع النسوة الثلاث من الفندق إلى الكنيسة ثم إلى الفندق مجدداً. هنَّ الثلاث يلبسن قلادات متماثلة.

- ما الذي يجعلهن يعدن إلى مسرح السرقة وهنَّ يضعن نسخاً عن القلادة الحقيقية، إلا إذا أردن، ولسبب ما، أن تلقي الشرطة القبض عليهنَّ؟

- لا أدري، يا نيك. لعلها مزحة من اللصوص لتمريغ أنف الاسرة بحيث لا تتمكن أبداً من أن نعرف من هو المسؤول.

فقال لوك: «أو لعل إحدى القلادات التي يلبسنها هي القلادة الحقيقية، وهنَّ بانتظار مغامرات أكبر».

فأجاب ماكس: «هذا هو شعوري بالضبط، وليسبغن على هذا مزيداً من الأهمية، ادعت غرير أنهنَّ جئن إلى إيطاليا لزيارة... أقاربهن».

فقال نيك: «أقاربهن؟ نحن الأقرب».

- بالضبط. لذا، خطر لي أنك ولوك، سترغبان في أن تساعداني على جمع الشمل.

فقال نيك يستحثه: «أكمل».

وكان ماكس الآن قد حاز على انتباه ابني عمتيه.

- نريد أن نعرف من هنَّ في الحقيقة، ولماذا جئن إلى هنا؟ وهل يمثلن دورهنَّ وحدهنَّ؟ إذا لم يكنّ كذلك، فمن أرسلهنَّ؟ وما هو برنامجهنَّ؟ ثمة طريقة وحيدة لمعرفة هذه المعلومات، إذا فهمتما قصدي. أنا واثق من

www.elromancia.com

أنكما لم تفقدا تأثيركما.

فقال لوك وقد فهم بسرعة ما يعنيه ماكس: «تعجبني الفكرة، وما من مكان أكثر راحة وبهجة من المركب «بكسيوني» لما تقترحه».

- موافق! أثناء إبحارنا، سنفعل كل ما في مقدورنا لكي نكسب اهتمامهنَّ الكامل. وها هي ذي خطتي، يا نيك: عندما يحضرهنَّ «فابيو» إلى المركب، اريدك أن تسليهنَّ، بينما أبحث أنا في أمتعتهنَّ واسرق القلادات. سنبحر إلى «لاريسي». وبعد العشاء سآخذهن في جولة حول القصر. هذا سيمنحكما أنت ولوك وقتاً للطيران إلى بارما بالطوافة، لعرض القلادات على السنيور روسي لفحصها، ثم تعودان إلى المركب قبل عودتي مع ضيفاتي. وتبعاً لما سنعرفه عن القلادات سنعرف ما إذا كنا بحاجة إلى مزيد من الوقت للحصول على معلومات من هذه النسوة، أو نستدعي الشرطة على الفور للقبض عليهن.

ضحك نيك بصوت خافت، وكان هذا أول شعور صادق سمعه منه ماكس منذ الجنازة وبدت الاثارة على لوك وهو تغيير كبير بعد لامبالاته وأفكاره الكئيبة مؤخراً. لم يحسب ماكس حساب رد فعل ابني عمتيه فقال: «سأكون صريحاً وأعترف بأنني أتطلّع إلى قضاء وقت ممتع مع غرير الدوقة، متقرباً منها قدر الامكان».

قال لوك: «أقابلك في المركب عند الساعة السابعة».

- وماذا عنك أنت يا نيك؟

بعد أن فقد خطيبته، لم ينظر إلى امرأة أخرى قط.

- سأكون هناك.

هذا حسن، فقد طال تنسّك نيك.

- لدي شعور بأن هذا سيعيدنا إلى أيامنا القديمة.

وصف دليل السياحة «فرنازا» بأنها جوهرة، ببيوتها ذات السطوح القرميدية المتألقة المنتشرة على الصخور المنحدرة. أما مظهر السماء الزرقاء البالغة الصفاء والبحر الأزرق، فجعل عينيها تدمعان.

شهقت لرؤية ألوان الغابة، والجبال الخضراء التي شكّلت خلفية للقصور الصفراء والوردية المزخرفة ذات الاعمدة عند المدخل.

تنهدت شقيقتاها باستمتاع أمام هذه الآثار المتوسطية التي حماها سكان جنوى من غزو البرابرة منذ قرون.

تلهفت غرير لأن تتسلق الطرقات الضيقة الصاعدة من الساحة الصغيرة إلى الواجهة الصخرية، لكن عليها أن تستكشف المدينة الصغيرة ونهر «فيرنازوللا». في نهاية رحلتهنَّ وبسبب زحمة السياح، لم تستطع وشقيقاتها الوصول إلى رصيف ميناء «فرنازا» الصغير قبل الثالثة بعد الظهر، متأخرات ثلاث ساعات عن الوقت المحدد.

لم تستطع ان تصبر على الوصول إلى البحر.

ورغم أن غريب الليلة الماضية لم يكن ينتظر أمام باب غرفتها في الفندق هذا الصباح حاملاً حذاءها، ولم يدنُ منها في الصالة ويكلمها أو يدنو منها عند حوض السفن، إلا أنها ما زالت لا تشعر بالأمان.

شيء ما فيه يهدد راحة بالها أكثر مما يمكنها شرحه حتى لشقيقتيها. وتملكها الخوف من أن يتمكن، لدى اقل فرصة، من أن يدمّر كيانها كله... عقلاً وجسداً وروحاً ونفساً...

كانت هذه فكرة سخيفة طبعاً فهو لا يستطيع أن يفعل ذلك. ومع ذلك، لم تستطع ان تتنفس بشكل طبيعي حتى غادر المركب الميناء.

- صباح الخير، يا آنسات.

وقفزت غرير مجفلة، خائفة من الأسوأ.

- أنا «فابيو موريتي» صاحب المركب «بيكسيوني». مرحباً بكنَّ في «فرنازا».

سمعت شقيقتيها تعرّفان بنفسيهما. وكزتها بايبر بمرفقها، لكن غرير أشاحت عنه وهي لا تزال تحبس أنفاسها.

تملكها الارتياح عندما اكتشفت شاباً إيطالياً يبتسم لها. وكان أشقر معتدل الطول، يرتدي سروالاً أزرق وقميصاً رياضياً أعمق زرقة. نظر

إليهنَّ قبل أن يصافحهنَّ، ثم سألهنَّ: «أي واحد منكنَّ هي دوقة كينغستون؟».

قالت أوليفيا: «كلنا».

تأوهت غرير داخلياً فيما قال هو: «لأنكنَّ... كيف أفسر ذلك؟ ثلاثة توائم، صح؟».

أومأت بايبر وردّت: «لكن كما قلنا في رسالتنا عبر الانترنيت، نريد أن يبقى هذا الأمر سراً».

- طبعاً. لكن اعلمن أنني استأجرت طاهياً خاصاً لهذه الرحلة، خدم في بيوت عدة لافراد من الأسرة المالكة من اسرة بارما - بوربون، وحالياً هو مشغول في مطبخ المركب يجهز العشاء. ستكون معاملتكن خاصة جداً أثناء وجودكنَّ في بيكسيوني.

نظرت غرير إلى شقيقتيها بذعر قبل ان تعود ببصرها إليه: «لا حاجة لإزعاج نفسك إلى هذا الحد، يا سنيور».

- كان ذلك من دواعي سروري. لدوقية بارما مكان خاص في قلوبنا، خصوصاً في قلبي أنا إذا جئتنَّ معي إلى الأسفل، فسأقدمكن إلى القبطان. ولا تقلقن على حقائبكن فنائب القبطان سيحملها إلى غرفكنَّ. سيكون المسؤول عنكنَّ هنا. هل نصعد؟

بدأت غرير تشعر بندم هائل لخدعة الدوقة هذه، وكانت واثقة من أن هذا الشعور يساور شقيقتيها ايضاً.

في ظروف أخرى، كانت لتعشق الثرثرة مع السنيور موريتي، المواطن الذي قد يتمكن من أن يلقي ضوءاً على الدوقة وذرّيتها. لكن في ظل هذه الظروف، أدركت غرير ان هذا التصرف لن يكون حكيماً.

كان مركبه أفضل مما توقعت، ما حوّل انتباهها لحظة، فالمرء يشعر فيه وكأنه في شقة فخمة على شاطئ البحر، كما أنه يحتوي معدات للغطس وللتزلج على الماء، وأفرشة للاستلقاء للتشمّس... اي كل ما يضمن إجازة الاحلام.

ووقعت عينا غرير على رجل أخاذ المظهر يضع نظارة شمس على عينيه، ويبدو في الثلاثينات من العمر، وكان خارجاً من قسم مساكن البحارة.

روعة بنيته بدت جلية في ملابسه البحرية الداكنة الزرقة، ما منحه شبهاً سطحياً بذلك الغريب الطويل القامة من سبلينديدو.

خفق قلبها بعنف. لكن عندما التحق بهنَّ في الصالون الرئيسي، أدركت غلطتها.

تحدّث إليه صاحب المركب بالايطالية فرفع نظارته عن عينيه ووجدت نفسها تنظر في عينين بنيتي اللون بأهداب سوداء كثة.

- مرحباً يا سنيوريتا. اسمي نيكولاس، ولكن ناديني باسم نيك، رجاء. نحن غير رسميين في التعامل على مركب بيكسيوني.

كان اسبانياً رائعاً يتكلم الايطالية والانكليزية ايضاً.

- إنه لسرور بالغ أن نبحر على المركب مع شقيقات ثلاث جاهلنَّ يبهر الانظار. أنتن متشابهات ومع ذلك مختلفات.

وراحت نظراته تنتقل من واحدة إلى اخرى، لكن بدا أنها استقرت على بايبر مدة أطول: «المعذرة لتحديقي هذا يا سنيوريتا..».

- بايبر.

- بايبررر.

وبدا مستمتعاً بلفظ «الراء»: «لون عينيك بلون خضرة البحر في الريفييرا».

كانت عينا بايبر رائعتين. وبدا واضحاً انها ليست بحاجة لأن تلبس القلادة لتجذب انتباه هذا الرجل.

لم تكن هذه هي المرة الأولى التي تندم فيها غرير على طيش الليلة الماضية، على تلك المغامرة الخطرة غير المسؤولة.

- شكراً.

وقالت أوليفيا: «إننا آسفات لتأخرنا».

www.elromancia.com

- ما من مشكلة يا سنيوريتا . . .

- اسمي أوليفيا.

منحها ابتسامة مغرية. يبدو أنّ الرجال الايطاليين ليسوا الوحيدين الذين يغزون قلب المرأة بطريقتهم الفريدة، فلا يتركون لها مجالاً للتنفس.

واكتشفت غرير أن قبطان المركب كان أشبه بذلك الغريب الاسود الشعر الذي عرفته أمس بوسامته البالغة التي لا يصادفها المرء كل يوم، او التي يمكن ألا يصادفها أبداً.

- كما كنت اقول يا آنساتي، لا تقلقن بشأن الوقت، فهذا أكثر فصول السنة زحمة، والتأخر على الطرقات أصبح عادة. هذا هو جمال السفر بالبحر. عندما لا ينفخ الهواء في الاشرعة، لدينا محرك يأخذنا إلى حيث نشاء. أعرف أمكنة يمكننا أن نكون فيها بمفردنا تماماً.

أجفلت غرير لهذا التلميح وقالت: «كل ما نريده هو أن نتبع خط سير الرحلة الذي اتفقنا عليه مع السنيور موريتي».

شعرت بتردده قبل ان يقول: «طبعاً، يا سنيوريتا».

بدا تأكيده هذا وكأنه شعر بشكوكها واستطاع ان يقرأ ما يدور في ذهنها. وقال وكأنه يسخر منها: «لكننا سنجري استثناءاً طفيفاً».

أدركت غرير ما يعنيه فيما تابع هو: «قبل أن يرسو المركب في «مونتيروسو» الليلة، فكرت في أنك قد تستمتعين بزيارة مدينة «كيريسي» ذات الميناء. ثمة قصر عليك أن تريه».

عندما لم تتكلم غرير، قالت بايبر تخفف من هذا الصمت غير المريح: «يبدو الأمر مثيراً؟».

لسبب ما لم تستطع غرير أن تثق بالقبطان تماماً.

- لا أتذكر أنني سمعت اسمك، يا سنيوريتا.

وأوشكت أن تقوم باللعبة التي لعبها الغريب معها الليلة الماضية، فتسأل القبطان أن يتكهن، لكنها منعت نفسها: «اسمي غرير».

رأت نظرة غريبة في عيني الرجل البنيتين وهو يتأملها بحدة غير عادية

ما جعل الشك يراودها. لعلها مخيلتها لكن القبطان ما زال يذكرها بغريب الليلة الماضية.

- غرير اسم غريب لكنه تصغير لاسم غريغوريو أول «بابا» يوناني مع أنكنّ جميعاً لديكنّ هذا الشعر الذهبي السكسوني. لماذا لم يطلق عليكنّ أسماء أكثر تناسباً؟

أكثر تناسباً؟ من يكون هذا الرجل؟ وقالت: «لو كانت أمنا حية لامكنك أن تسألها. نرجو المعذرة، إننا نريد ان نستنشق الهواء».

وتجاهلت تقطيب أختيها فيما قال السنيور موريتي الذي بقي صامتاً طوال تبادلهما الحديث: «ثمة ثلاث حجرات خاصة جاهزة لكنّ مع أسرّة فسيحة وحمامات خاصة. قبل ان أترككن بين يدي نيك الماهرتين، اسمحن لي بأن اريكن المكان».

ومن دون أن تلقي نظرة اخرى على القبطان، سارت غرير خلف صاحب المركب. لعل شقيقتيها أعماهما سحر القبطان، لكنها لن تقع في المصيدة.

وكأنما ليزداد قلقها، أُحبطت خطتهنّ القاضية بألّا يتفرقن عندما أدركت أن الغرف موزعة على ثلاث زوايا مختلفة من المركب.

كانت كل واحدة منها تحتوي على سلال أزهار وفاكهة وحلوى بالإضافة إلى ثلاجة صغيرة تحوي كافة انواع المشروبات.

كل شيء بدا جميلاً، ولم يكن لديها اي شكوى.

لكن عندما تمنى لهنّ موريتي رحلة سعيدة ثم توارى، تملكها شعور بقرب حدوث شيء غير حسن. وعندما شعرت باهتزاز تحت قدميها، قفزت واقفة. لقد أبحر المركب.

وفات الوقت على الهرب.

٤ - غزا أحلامي

تنهدت بايبر: «أظن أن «فرنازا» أجمل من بورتوفينو».

كانت شقيقتا غرير تتفرجان من الكوة على الميناء.

- اعترفي بأن القبطان هو أجمل رجل رأيته.

كانت غرير تعلم أن ذلك صحيح إلّا إذا استثنينا شخصاً، لكنها رأت من الحكمة أن تبقى صامتة حيال هذا الموضوع. قالت بحذر: «لا تتحمسي كثيراً بالنسبة إليه».

التفتت الاثنتان إليها ترمقانها بنظرة غيظ، وقالت بايبر بعنف: «ما الذي حدث لك؟».

عقدت أوليفيا ذراعيها: «كنت فظة معه منذ دقائق، كما تعلمين».

- لأن ثمة خطب ما فيه.

- بالله عليك يا غرير، جاذبيته لا تجعله وحشاً.

- أنا لا أتحدث عن مظهره، رغم أنه غير عادي. إنها تصرفاته. عيناك، يا سنيوريتا بايبررر... إنهما بلون خضرة البحر. اسمك يا سنيوريتا غرير غريب ومع ذلك ساحر... يا إلهي، هذا الرجل خطير.

فضحكت بايبر: «أتعنين أنه ذكّرك بالطريقة التي حدّثك بها ذلك الرجل الغريب الليلة الماضية؟ أظننا قررنا أن الرجال الأوروبيين يتقدمون من النساء بصراحة بالغة، وعلينا فقط أن نعرف كيف نتعامل معهم».

قالت أوليفيا: «بايبر على حق. قد يكون القبطان إسبانياً. لكنهم، جميعاً، لديهم دماء متوسطية تجري في عروقهم ما يجعلهم مختلفين عن الرجال الذين اعتدنا الخروج معهم».

- لا أدري يا بنات، لكن لدي شعوراً بأن قبطاننا يلعب لعبة لا علم لنا بقوانينها.

- هذا ما قلته عن السنيور الغامض.

- إنهما يذكرانني ببعضهما البعض.

- غرير... هل تدركين أنك مصابة بجنون الارتياب؟

- إنه هو من بدا أكثر ثقافة من أن يقوم بعمل كهذا.

هزّت أوليفيا كتفيها، وقالت: «لعله يفعل هذا للتسلية حين يكون في إجازة. وماذا يهمنا نحن؟ لقد جئنا إلى الريفييرا لقضاء عشرة أيام من المرح والعبث».

هزّت غرير رأسها: «جئنا مع خطة ثابتة وهي أن نجعلهم يعرضون علينا الزواج».

- هل تتصورين حقاً أن دون جوان يجيد ثلاث لغات ويقود مركب سيتقدم بطلب يد امرأة للزواج حتى لو علم أنه قد يحصل على ماسة «الامل»؟

فقالت بايبر: «ربما لا. لكنه القبطان وهذا يعني أنه لن يرحل قريباً».

- لقد رأيت كيف كان ينظر إليك وكأنك وليمة، وهو لا يستطيع أن يقرر بأي طبق يبدأ.

قالت أوليفيا برقة: «ذلك الرجل الغريب أمس جعلك غير طبيعية».

- وكذلك القبطان. فلنواجه الحقيقة، يا بنات. عندما وضعنا خطتنا السخيفة، كنا قد عدنا لتوّنا من مكتب المحامي كارلسن. وقد جعلنا الحزن بهذا الضلال. أرى أن نتوجه مباشرة إلى محطة القطار عندما نصل إلى «مونتيروسو» الليلة. ولا يهمني إن كان علينا أن نبقى هناك طوال الليل. وعندما نصبح في جنوى سننتظر حتى نستقل الطائرة إلى الوطن.

قطبت بايبر حاجبيها: «الوطن؟ لا سبيل إلى ذلك يا غرير. سيكون مال أبينا قد ذهب سدى».

- لقد دفعنا رسم إلغاء الرحلة. سنطالب باسترداد نفقات الرحلة، لن نسترجع المال كله طبعاً لكن هذا أحسن من لا شيء.

- جئت لأشاهد الفورملا.

- أعلم ذلك، يا أوليفيا. لكن سيكون هناك سباق آخر للسيارات السنة القادمة. يمكنك أن تأتي مرة أخرى وبمالك الخاص.

فقالت أوليفيا برزانة: «أنت جادة في كلامك».

أومأت غرير: «كيف ستكون هذه الاجازة إذا كنا نحاول طوال الوقت أن نجد المرح على هذا المركب ونصدّ القبطان الذي يظن نفسه نعمة أرسلها الله إلى النساء، معتقداً بأننا ذوات ألقاب رفيعة ونملك الكثير من المال والمجوهرات؟ إذا ظننتما ان السنيور موريتي يخفي هذه المعلومات الهامة عن بحارته، فأنتما إذن تظنان أننا نبحر في البحر الكاريبي».

تمتمت بايبر باستياء: «لا لزوم للسخرية».

فنظرت إليها أوليفيا بقلق: «إذا حمينا بعضنا بعضاً، فسيعجز القبطان عن القيام بأي شيء وهكذا لا أرى المشكلة في هذا. سنكون ثلاثة ضد واحد. إذا بقينا مع بعضنا البعض، فلن يستطيع أن يقوم بأيّ خطوة من دون أن نعرف».

- لا تكوني واثقة إلى هذا الحد. فهو من يقود هذا المركب. أنت سمعته يقول إنه يعرف مكاناً يمكننا ان نكون فيه بمفردنا. لم يكن يمزح، إننا في مكان لا نعلم عنه شيئاً هنا. إنهم ليسوا رجالاً عاديين. إنهم يعرفون كيف يغرون المرأة.

- علينا أن نتوخى الحذر إذن.

- هذا مجرد كلام يا بايبر، لكن لديهم طرقاً تجعلك تقومين بأمور لم تكوني تريدينها على الاطلاق.

فاقتربت أوليفيا منها: «أتعنين أن شيئاً آخر لا نعرفه حدث بينك وبين ذلك الغريب الليلة الماضية؟».

خفق قلب غرير بعنف: «كلا ... ولكن..».

- لكنك تظنين أنك لن تستطيعي مقاومته في ما لو قابلته مرة أخرى.

بعدما خبرته الليلة الماضية، أدركت أن المرأة القوية فقط هي التي تستطيع مقاومة رجل مثله أو مثل القبطان... ولم تكن واثقة في أعماقها من أن بإمكانها ذلك.

- فلنقل فقط إنني لا أريد أن أعلم.

عليها ان تدفع ثمناً غالياً مقابل إقامة عشرة ايام معه. وعندما تنتهي الرحلة، ستعود إلى بيتها وحدها حيث تبقى مع الآلام بقية حياتها.

لا سبيل إلى ذلك... إنها دوقة، الدوقة تصبر وتنتظر الزواج وكل ما يترتب على ذلك.

- اسمعن يا بنات... في لحظة من الجنون ادعينا أننا دوقات. الآن انتهى هذا.

فقالت بايبر بحزم: «لكننا لن ننهي الرحلة بأكملها. لن ندع القبطان يستغل أياً منا وسنبقى معاً طوال الوقت».

واقترحت أوليفيا: «والآن ما قولكما في أن نصعد إلى السطح حيث نستمتع بالمناظر حتى موعد العشاء؟ لا أدري عنكما لكنني مسرورة لوجود طاه فرنسي هنا ما سيضمن لنا وجبة أسطورية».

ولتعيد المرح إلى مزاج شقيقتيها ناولتهما بعض الشوكولا وفاكهة الإجاص التي يفضلانها، وهي تضيف: «أظننا بحاجة إلى شيء خفيف نأكله قبل أن نتعرّف إلى نائب القبطان».

- ارجو ألّا يكون رجلاً آ...

- كفى، يا غرير...!

إزاء تأنيب بايبر، أحنت غرير رأسها لا تريد أن تتحدث عن إمكانية وجود رجل يشبه سمكة قرش يسبح حول المركب.

كانت هذه فكرة مزعجة. وجلست على السرير وأخذت تأكل الفاكهة. وبعد دقائق نهضت وتوجهت إلى الحمام النظيف الأبيض الذي يحتوي على كافة انواع الصابون والعطور والشامبو. وعندما خرجت منه

قالت: «أنا ذاهبة إلى غرفة الجلوس في الناحية الأخرى من المركب حيث رأيت حقيبة ملابسي، وسأعود بها حالاً».

فقالت أوليفيا: «وحقيبتي في الجانب الآخر ايضاً. سآتي معك».

سارتا معاً إلى الممر ثم افترقتا عند السلم.

توقف اهتزاز المركب، ما يعني أن الهواء هو الذي يحرك الأشرعة وليس المحركات. وعشقت غرير اهتزاز المركب هذا. في ظروف أخرى، كانت لتصبح هذه رحلة الاحلام.

كم كانت حمقاء إذ تصرفت بالمال الذي تركه لهنَّ والدهنَّ، كلهنَّ كنَّ حمقاوات. لقد رأين ما حدث لأنهن عملن على تنفيذ وصيته السخيفة بأن يحاولن الحصول على زوج!

تملكها الغضب من نفسها، فدفعت باب غرفة الجلوس بعنف. وعندما دخلت، توقعت أن ترى حقيبتها على الأرض، لكنها لم تجدها. لا بد أن نائب القبطان وضعها في الخزانة فتقدمت منها وفتحتها. وسرعان ما انطلقت من بين شفتيها صرخة دهشة وهي ترى ملابسها معلقة، وأحذيتها مرتبة في مكان خاص بها.

شعرت غرير بالشحوب يغزو وجهها، وشعرت بحركة خفيفة خلفها. لم تكن بحاجة لأن تلتفت لتعرف من يقف على بعد خطوات منها، ساداً أمامها طريق الهرب الوحيد.

قال باستمتاع بالغ: «أنا أعرف «فرنازا» جيداً. وبما أنك لم تظهري اي خوف من الماء، يسعدني أن آخذك إلى كهف سري لا يمكنك الوصول إليه إلا بالسباحة تحت الماء».

لا... هذا غير ممكن. كانت تعلم أنها ستراه في مرحلة ما من رحلتها هذه، ولكن ليس كأحد بحارة المركب بيكسيوني! هذا شيء لا يمكن حدوثه.

- مساء الخير غرير.

بدا صوته أشبه بنسيم الليل الذي يتخلل أشجار السرو، حاملاً معه

رائحة الليمون والياسمين إلى البحر.

- لم أستطع النوم طوال الليل متوقعاً رؤيتك مرة أخرى. وهذا السبب الوحيد الذي جعلني أتركك تفلتين من يدي. رغم أنني أعترف بأنني أوشكت على أن أحملك إلى البحر لكي نسبح تحت ضوء القمر.

حاولت أن تتمالك نفسها. لا يمكن أن تدعه يكتشف ما فعله بها. عليها أن تبدو هادئة إزاء وقاحته، واستطاعت أن تسمع صوت ابيها يشجعها هامساً: «تصرفي كدوقة».

تفكيرها في والديها المحبين منحها الشجاعة كي تلتفت بابتسامة متسلطة نحو الرجل الذي يمكن أن يدمّرها إذا لم تضع البحر بينهما في غضون ساعات.

قوّت نفسها كيلا تتجاوب معه وأجابته بابتسامتها المتسلطة: «مساء الخير يا سنيور. إذن، نائب القبطان هو رجل الليلة الماضية الغامض».

- للحياة خدع كثيرة، أليس كذلك؟

- كيف عرفت أنني سأستقل المركب بيكسيوني؟

- حالما أخبرتني أنك قادمة إلى فرنازا، طلبت من صديق لي أن يراقبك. لعله القدر الذي جمعنا من دون أن أحتاج لأن أرفع إصبعاً للعثور عليك، خصوصاً عندما سمعتك بوضوح تقولين لي وداعاً. كانت تلك قسوة منك.

رفعت ذقنها متحدثة: «لقد أمضيت كثيراً من الوقت في فندق سبلينديدو».

- لم أذهب إلى هناك منذ أكثر من عام. لو لم أرك لتركت المكان، وكنا سنصبح كالسفن التي لا تلتقي أبداً.

- ماذا لو لم أذهب إلى البحيرة؟

- كنت سأقوم بتحريات حتى أجدك، أينما كنت.

ورغم أنها تمنت العكس، إلا أن قلبها أخذ يخفق: «هل أنت دوماً بهذا الإصرار؟».

- بالنسبة إلى ما أريده؟ نعم.

مثل هذا الجواب المكهرب، بصوته العميق، جمّدها.

- نعم، يا سنيوريتا وبكل طريقة ممكنة.

صدمتها صراحته البالغة فلم تستطع التفكير أو التنفس بشكل طبيعي. وأضاف: «لكنك تعرفين هذا يا غرير، لان شعورك نحوي هو كشعوري نحوك».

- أراك بالغ الثقة بنفسك، أليس كذلك؟

أخذ يتأملها: «لو أستطعت ان ترى عينيك لفهمت السبب».

- ماذا في عيني؟

- أنت تعلمين أنّ العينين هما «مرآة الروح».

- إذن أنت تعتقد أن روحي تتحدث إلى روحك؟

- وبصوت واضح ومرتفع منذ اللحظة التي رأيتك فيها تراقبينني وأنا أسبح في البحيرة.

لم تستطع أن تدحض هذا القول. في اللحظة التي رأته فيها، لم تستطع أن تحوّل نظراتها عنه. وسألته: «هل تستعمل هذا الأسلوب مع كل امرأة غريبة تنظر إليك؟».

- لم أقل ذلك لامرأة اخرى قط في حياتي.

وارتجف صوته كما كانت ترتجف عند البحيرة عندما طلب منها أن تسبح معه.

أرجعت غرير رأسها إلى الخلف ضاحكة: «أراهن على أن كل امرأة اميركية تحدثت إليها بهذا الشكل، صدقتك».

- أميركية؟

- نعم، إنهنّ يقلن إن اللكنة الايطالية في أذن الاميركيات هي أكثر اللكنات إثارة في العالم. وأعترف بأنني وجدتها جذابة إلى حد لا يمكن مقاومته.

أظلم وجهه الوسيم: «لكنك لا تصدقينني».

- ما من امرأة لا تريد ذلك. على أي حال، أنت تمثل حلم كل امرأة.

- حتى أحلامك؟

- خصوصاً أحلامي.

- ولماذا؟

- بدأ غرامي بإيطاليا عندما عرفت أنني إيطالية جزئياً.

- أتعنين من خلال زوج ماريا - لويجيا؟

بقيت ابتسامة غرير مكانها. هذا الرجل يعرف بالضبط من هي دوقة كولورنو، هذا يعني أنه يتظاهر بالغباء أمامها الآن لغرض في نفسه.

أي دارس لتاريخ أوروبا، وإيطاليا خصوصاً، يعرف أن الدوقة كولورنو تزوّجت مرتين: نابليون بونابرت والكونت «فون ريبيرغ».

كانت على وشك أن تخبره أنها تتكلم عن حفيدة ماريا - لويجيا التي كان لها عشيق إيطالي لكنها عادت فتراجعت لأن هذا الرجل يعبث معها لسبب خاص. وسألته لتغير الموضوع: «ماذا عن أسلافك أنت؟».

أمال رأسه جانباً وأجاب: «أنت لم تجيبي عن سؤالي. أخبريني بالمزيد عن الجانب الإيطالي من أسرتك. أنا مفتون بك يا غرير، وأريدك أن تخبريني بكل شيء عنك».

كل شيء؟

تحت كلماته الملتهبة، شعرت بأنه منقاد بفضول منفصل عن رغبته فيها، والا فما الذي يغريه بمعرفة جذور غرير؟

ومنحته ابتسامة واسعة: «آسفة! لم أترك سوى القليل للمخيلة حين سبحت معك. لقد سبق وأدركت أن بإمكاني أن أكون مندفعة وأنني أعشق السباحة. أليس جميلاً، في هذا القرن الجديد، أن نرى أفراد الطبقة العاملة يستمتعون بأوقات فراغهم في سبلينديدو كما يفعل الأرستقراطيون؟».

طرحت عليه هذا السؤال فيما كان يسحب سترة نجاة من أسفل

الخزانة.

فقال بابتسامة غامضة: «هذا يعتمد على ما تعنيه بقولك: «يستمتع». العامل يقيم هناك لوقت قصير وميزانيته محدودة، ما يزيد من جمال تجربته».

واقترب منها.

بدا ذا شخصية قوية للغاية، وبالغ الدهاء وأذكى من أن يتلقى الأوامر من أي شخص آخر.

رغم أنه بدا على المركب وكأنه في بيته، إلّا أنها كانت مقتنعة بأنه يحكم عالماً آخر بعيداً عن هذا العالم.

- ما كنت لأعرف هذا.

- ومن يلومك؟ أنت ولدت لتكوني دوقة كينغستون.

رغم ان ملاحظته الرقيقة بدت عفوية تماماً، إلا أنه خطر في بالها فجأة أنه يلاحقها ليكسب منها اي شيء يحصل عليه... مال، مجوهرات، فضيلتها.

ما كان ينبغي أن يصدمها هذا. هذا ما كانت ترجوه، مع شقيقتيها، عندما جئن إلى الريفييرا لكن اللعبة لم تعد تبدو مزاحاً الآن.

ولكي تخفي ذعرها، هزّت كتفيها بعدم اهتمام، ما لفت انتباهه إلى بلوزتها الحريرية.

انحدرت نظراته الجريئة من مفاتنها إلى حزامها العريض الذي يحيط بخصرها..

- من الإجرام ان نغطي ما وهبتنا إياه الطبيعة من جمال يبعث على السرور.

ومن دون إذن منها، ساعدها على ارتداء سترة النجاة، محكماً الرباط الأمامي.

بعد الطريقة التي غاصت بها في البحيرة في الفندق، رأت ان لديه كل الحق في أن يعتقد بأنها تخلّت عن حشمة العذارى منذ وقت طويل.

لم يعلم أن أول ما خطر في بالها هو أن تصفعه.

كبتت مشاعرها وقالت: «رؤيتي لك منشغلاً إلى هذا الحد في عملك يساعدني على أن أتفهم سبب تلهّفك للرد على حاجتي الليلة الماضية. حتى أنك أعدت إليّ حذائي. هل أخبرك أحد أنك تصلح لأن تكون خادماً خاصاً ممتازاً؟».

لاحظت أن فكه توتر قليلاً: «لا. أنت أول من يخبرني هذا. هل تقدمين لي وظيفة بدوام كامل؟».

- وهل ستقبلها؟

- نعم، إذا قدمت لي أجراً جيداً وضمانات.

تسارع نبضها: «أراهن على أن أجرك مرتفع».

- لكن هذا لن يشكّل أيّ مشكلة بالنسبة إليك.

- أتعني لأنني دوقة.

التوت شفتاه بابتسامة عريضة: «بعض الألقاب لا يصحبها مال أو أملاك لتسندها. لكن القلادة التي كنت تضعينها الليلة الماضية تحدثني بأن بإمكانك أن تتحملي تكاليف خدمتي لك».

كل شيء ينتهي إلى القلادة.

- آه لكن إلى متى؟

كان سؤالها ينبئ باهتمام بالغ فأجاب: «الى أن تموت رغبتنا في بعضنا البعض».

فارتجفت: «أظنك أسأت فهمي. كنت أتحدث عن خدمات الخادم فقط».

- وأنا أيضاً. أتريدين ان نجرب أحد واجباتي لكي ترى إن كان عملي يتلاءم مع تطلعاتك؟

وبسرعة البرق، جذب الرباط الذي عقده ما جعلها تسقط على جسمه القوي. ولولا سترة النجاة التي ترتديها، لانسحق جسدها على جسده.

لكن عندما أطبقت ذراعاه بعنف عليها، لم يبتلعها حية كما كانت

www.elromancia.com

تخشى بل أخذ يعبث معها.

بعد مناوشتهما الكلامية المثيرة، أخذت تشعر بالتناغم في مشاعرها يتصاعد كمدّ البحر، مكتسحاً جسدها.

لم تعد تعرف نفسها، لقد جعلها تشعر...

- غرير؟

إنه صوت أوليفيا. وانفتح الباب: «أسرعي! لدينا... غرير!».

وترددت صيحة بايبر المصدومة في أنحاء القمرة. ابتعدت غرير عن الرجل الذي كان يحضنها والتفتت إلى الخلف شاعرة بالذنب، لكن أحاسيسها خانتها.

- مساء الخير!

- ما الذي يحدث؟

طرحت أوليفيا هذا السؤال بهدوء وبرودة الثلج، بينما بدت بايبر جاهزة للإمساك به. لم تكن غرير تعلم أن أختيها بهذه الشراسة.

على أيّ حال، ما كانتا لتنجحان لو حاولتا كبحه. وحقيقة أنه تجاهل احتجاجهما وبقي واقفاً قربها أكدت هذه الحقيقة.

قالت غرير: «أنا... ليس الأمر كما تظنان. لقد أسأتما تفسير ما يحدث».

وقال هو بلهجة مهذبة: «هذا صحيح، أنا وأختكما نجدّد تعارفنا. لم يكن لدينا الليلة الماضية، سوى القليل من الوقت قبل أن تهرب إلى سريرها، وتتركني وحيداً».

تنفست بعمق: «أوليفيا، بايبر؟ هذا هو الرجل الذي قابلته في سيلنديدو الليلة الماضية».

بدا صوتها واهناً حتى في أذنيها. بعد الطريقة التي تحاملت بها عليه الليلة الماضية، لم تصدق أنها تدافع عنه الآن.

وشعرت بالخجل وهي تدرك أن ما حدث لم يكن خارجاً عن إرادتها. في الحقيقة، شعرت بلذة غريبة وهي تتجادل معه.

لقد عشقت المشاحنة معه، ولم يخطر لها أبداً أن تصرخ بصوت عالٍ حين رأته كي تأتي شقيقاتها ركضاً.

عندما تتذكران هذه الحادثة لاحقاً ستنتبهان إلى أنها لم تكن تقاومه، بل على العكس، بدت منسجمة معه تماماً.

لم تتحرك بايبر بل قالت: «ألن تعرفينا ببعضنا البعض؟».

وتمتمت أوليفيا: «لا أظننا سمعنا اسمه».

احمرت وجنتا غرير، وتقدم الرجل الذي أحدث أمواجاً من الصدمات في كيانها: «اسمحي لي. أنا ماكس، نائب قبطان مركب يكسيوني. رأيتكنّ الليلة الماضية وكان مشهداً رائع الجمال، لا يمكن أن أنساه ابداً».

لامست يداه ذراعها ثم تركها. وأخذت غرير ترتجف فيما وصل هو إلى الباب. وقبل أن يتوارى قال: «آنساتي، إلى اللقاء على السطح بعد خمس دقائق مع سترات النجاة التي ستجدنها في أسفل خزائن غرفكنّ. سأريكنّ كيف تلبسنها بشكل صحيح. وإذا عرفتن كيف تفعلن ذلك، فهذا ينقذ حياتكن إذا حدث طارئ على المركب، لا سمح الله».

٥ ـ خطة مذهلة

بعد ذهابه، أدركت غرير أن عليها أن تقدم توضيحاً فقالت: «ما رأيتموه لم يكن سوى نتيجة إهانتي له. وبدلاً من أن أقاومه، رأيت انه ربما من الحكمة أن أدعه يخرج مشاعره».

دهشت وهي ترى شقيقتيها تغلقان الباب ثم تضعان إصبعيهما على شفاههما، تطلبان منها الصمت.

فسألتهما: «ماذا حدث؟».

اجابت بايبر همساً: «اصغي فقط، لقد فُقدت قلاداتنا. افتقدناها ونحن نخرج أمتعتنا من الحقيبة إذ فتحت عليه أدوات التجميل لاحضر الكريم الواقي من أشعة الشمس فلم أر القلادة. طلبت من أوليفيا ان تفتش في حقيبتها فلربما أخطأت ووضعتها فيها، لكنها وجدت أن قلادتها اختفت هي ايضاً».

وقالت أوليفيا: «حقائبنا لم تغب عن أنظارنا منذ الصباح، وهذا يعني أن البحارة هم لصوص المجوهرات إذ اعتقدوا أنهم سرقوا ثروة صغيرة، هل ما زالت قلادتك معك؟».

هل ما زالت قلادتها معها؟ اندفعت غرير راكضة إلى الحمام حيث وضع البحار حقيبة زينتها. فتحتها فوجدت الكيس الصغير الذي يحتويها، والقلادة في داخله.

قالت بصوت مرتجف: «ما زالت قلادتي معي، لعله كان ينوي أخذها عندما فاجأته أنا مصادفة».

حدّقت الفتيات الثلاث في بعضهن البعض قبل أن تقول أوليفيا

لغرير: «ظنناك تبالغين في إحساسك بالخطر، لكننا ندرك الآن انك كنت محقة».

وحملقت بايبر فيها: «أما بالنسبة للغريب الذي عرفته الليلة الماضية الذي ظهر اليوم مدعياً انه نائب القبطان واكتشافنا له وهو يعانقك، فيبدو جلياً ان شيئاً غير عادي يحدث هنا حتى لو كنت منجذبة إليه بشكل لا شفاء منه».

منجذبة بشكل لا شفاء منه؟ هذا ما تشعر به حقاً. وتملكتها رجفة: «أدركت أن هذا لا يمكن أن يكون مصادفة. أتذكران ما أخبرتكما به عن مدى انجذابه إلى القلادة؟».

– نعم، لو اراد أن يغويك وحسب، لتمكن من ذلك الليلة الماضية.

فقالت غرير: «شكراً لهذه الثقة بي يا أوليفيا».

– لكننا رأيناك بين ذراعيه، ولم تُبد منك اي مقاومة. لا احد يلومك. يا الهي، إنه يبدو رائعاً للغاية، وواضح تماما انه منجذب إليك أيضاً. لكنه دخل إلى مسرح الاحداث بقوة وسرعة أكثر مما ينبغي. اما بالنسبة إلى القبطان، فأنت على حق بشأنه. إنه... إنه...

فتأوهت غرير: «أعلم ما تحاولين قوله. فلنواجه الامر. السنيور «مورتي» خطط لعملية هامة هنا. قد تكون قانونية لكنه يحصل على أجر كبير حين تقوم مغفلات مثلنا باستئجار مركبه وهن ينتحلن صفة اشخاص آخرين. ليس علينا ان نلوم سوى انفسنا لخسارتنا هذه. لو عرف الوالدان..».

نظرت أوليفيا إلى ساعتها: «لا يمكننا ان نفكر في ذلك الآن. قال نائب القبطان خمس دقائق. فإذا لم نصل إلى السطح بعد حوالى نصف دقيقة، فسيتخذ من ذلك عذراً للبحث عنا. أرى أن نسرع في الصعود ونحن ندّعي أن ما من خطب لنتحدث عما ينبغي أن نفعله لاحقاً».

وهرعن مسرعات إلى الصالون الآخر ليحضرن سترات النجاة، ثم صعدن إلى شمس العصر التي تشتهر بها الريفييرا.

نفخ النسيم العليل في الاشرعة التي رسمت عليها صور حمائم، فدفع المركب بعيداً عن الشاطئ الرائع.

- سيداتي؟

كلما سمعت غرير صوت نائب القبطان، سرى في جسدها تيار كهربائي ألهب جهازها العصبي، لكنها هذه المرة، كانت منتبهة له وللقبطان بعد أن وجدتهما في قمرة القيادة يتحدثان. يتآمران...

هذان الاثنان يخططان لشيء ما. وتساءلت كم من النساء الثريات وقعن على مدى السنين في شرك وسامة وجاذبية هذين الرجلين فلم يعدن قط إلى حالتهنَّ الطبيعية أو يستعدن مجوهراتهن.

لم يخترع العلم بعد لقاحاً للانثى ضد مثل هذا النوع من الذكور وأفضل ما يمكن فعله هو أن تهرب المرأة للنجاة بنفسها من دون أن تنظر خلفها!

هذا بالضبط ما قررت هي وأختيها القيام به الليلة، بعد رسو المركب. وحتى ذلك الحين، عليهنَّ أن يلتصقن ببعضهنَّ البعض، ويتحايلن للخروج من هذه اللعبة. وليس أمام غرير سوى الصلاة ليسلمهن الله من هذه المغامرة المشؤومة.

عندما اقترب حظها التعيس، واجهتها تلك الابتسامة المهلكة لتقنعها بأنه يقرأ أفكارها. تجنبت النظر اليه وهو يتفحص سترتي نجاة شقيقتيها... وبعد ان أعطاهن بعض النصائح، بدأ بتدريبهن.

بدا وكأن المركب وكل ما يتعلق به جزء منه ما جعلها تعترف بسخرية بأن هذا أمر يطمئن ويزيل الشكوك. وبعد ثلث ساعة عرفنَ كيفية إرشاد السفن، واستخدام جهاز إطلاق الاشارة الضوئية، واستخدام جهاز إخماد النار، والتجذيف، واستعمال خريطة البحر والبوصلة.

- هل تعرفان السباحة كشقيقتكما؟

أومأتا إيجاباً.

- ومع ذلك عليكن ان تفعلن تماماً ما أقوله عندما تستخدمن أي من

الاجهزة البحرية. على الكل أن يكون مستعداً للطوارئ، وأن يطيع القواعد حرفياً. هل لديكنَّ أي سؤال؟

كان لدى غرير سؤال: «لِمَ نبحر في الاتجاه المعاكس لمونتروسو حيث سنرسو هذه الليلة؟».

كانت قد خططت لهذا الجزء من سير الرحلة بنفسها. كان لمونتروسو أجمل شاطئ في المنطقة.

إذا كانت هذه آخر لياليهن في إيطاليا، فعليهنَّ على الاقل، أن يخبرن أصدقاءهنَّ أنهن سبحن مرة في مياه البحر الابيض المتوسط.

نظر إليها بعينيه السوداوين الحادتين: «انت ذكية للغاية إذ تنبّهت لهذا التحول البسيط في اتجاه المركب».

- هل تسمي الاتجاه إلى الشرق تحولاً بسيطاً يا سنيور؟

تشبثت ابتسامته الساحرة بقلبها وهو يقول: «ألم يخبرك القبطان أننا سنتوقف في مرفأ مدينة ليريسي؟».

- لقد ذكر ذلك. ما المهم في هذا؟

- قصر من القرن السادس ساحر للغاية. يمكنكنَّ، أنت وشقيقتاك، أن تجلنَ فيه كما تشأن.

يا لها من كذبة خطط لها هو والقبطان! يبدو أنهما استخدماها للتغرير بالنساء الثريات على مدى سنوات. يأخذان قسماً من المجوهرات في ليريسي، ثم يدعيان البراءة لاحقاً عندما يكتشفنَ أن القلادات مفقودة.

أثبت المركب أنه رائع فعلاً، إغواء في عرض البحر. أسيرات عاجزات عن مقاومة جاذبية رجولتهم الأخاذة.

كان بإمكان غرير ان تقرأ ما يدور في ذهن نائب القبطان لانه بشفافية نقاب العروس.

إنه يظن نفسه بجاذبية «فالنتينو»، لكنه مخطئ تماماً. رغم أنه صدمها بعناقه الذي كشف مشاعرها... هذه المشاعر التي لم تكن تعلم أنها تملكها، إلا أن هذا لا يعني أنها تريد أن يتكرر الامر.

قالت متحدية: «منذ متى يأخذ القبطان أوامره من نائبه؟ ما دمت تتقاضى راتباً فليس لوظيفتك علاقة بمسار الرحلة الذي وضعناه منذ اسابيع».

بسط يديه على الطريقة الايطالية وهو يقول: «إنه مجرد اقتراح، يا سنيوريتا».

وأنا دوقة كينغستون!

- لو أردنا ان نذهب في جولة غير عادية، لانطلقنا من «ترانسلفانيا»..!

خفض نظراته وقال: «كان أمراً حكيماً منك ألا تسافري إلى هناك. حتى أنا، الذي ليس في عروقي قطرة من دماء مصاصي الدم، أجد صعوبة بالغة في أن اقاومك».

كلامه هذا جعل قلبها يخفق بعنف، لكنها بذلت جهدها كيلا يصدر عنها اي رد فعل.

وما لبثت غريزة حفظ الذات أن تحركت فيها، فرفعت ذقنها: «يمكنك أن تخبر القبطان بأننا غيرمهتمات بذلك. إذا لم يعد لديك ما تقوله الآن، فسنبقى في غرفتنا حتى يقدم العشاء».

وخرجت متوجهة إلى السلم، شاعرة بعينيه الملتهبتين تخترقان ظهرها.

ناداها بشكل غير متوقع: «إنه جاهز الآن».

تبعتها أختاها إلى غرفة الجلوس: «فلنأكل كيلا يشتبها بشيء. وبعد ذلك نقرر ما نفعله».

ودخلن إلى الصالون فتملكتهنَّ الحيرة وهنَّ يرين التغيير الذي طرأ على المكان. لقد جهزت المائدة المغطاة بغطاء مخرم، لثلاثة اشخاص. ولاحظت غرير الكؤوس البلورية الفاخرة والاطباق الصينية الثمينة، وباقة الازهار الحمراء والصفراء والوردية التي تتوسط المائدة. كما سال لعابها لرائحة الاطباق المتنوعة.

فتح الباب المؤدي إلى مطبخ المركب ودخل رجل قوي العضلات

يرتدي سروالاً من الجينز وكنزة رمادية مثنية الكمين إلى ما فوق الكوعين. كان يتكئ على عصا. وعندما رفع رأسه ذا الشعر القصير الاسود، رأت غرير وجهاً بسمرة بشرة أبناء منطقة البحر الابيض المتوسط. كانت جاذبيته السمراء كفيلة بأن تجعل اي امرأة تفقد اتزانها! لا أحد يعرف مثل ذلك الشعور مثلها هي.

لو لم يكن يتكئ على عصاه بهذا الشكل لبدا بمثل طول الرجلين الآخرين على المركب. قال بالفرنسية: «مساء الخير يا آنساتي».

وبعد ان نظر إلى غرير وبايبر مقيّماً، حول بصره إلى أوليفيا.

لم يبد عليه أنه سيعتذر لتفحصه لها. تأمله الواضح لوجهها وجسمها كان كفيلاً بجلب احمرار الخجل إلى وجوه أكثر النساء وقاحة. وتملك غرير الاعجاب بقدرة أختها على التحكم بنفسها.

- لا بد أنك من اطلق عليها اسم شجرة الزيتون؟

فقالت بهدوء: «من أخبرك بذلك كان مضللاً هو نفسه».

أحست بأن من يتحلى بمثل هذه الرجولة القوية لا يمكن ان يعمل طاهياً على هذا المركب أو لدى الاسرة المالكة. لو كان أحد هؤلاء البحارة بحاراً حقيقياً فغرير وأختاها لا يفقهنَ شيئاً.

لوى شفتيه بابتسامة ماكرة: «أنا لا أخطئ ابداً، يا آنسة».

فقالت ساخرة: «حسناً، إذا لم تحتج إلى عكاز منذ الولادة، فهذا يعني أنك أخطأت في حركة واحدة على الاقل في حياتك».

أظلم وجهه الوسيم، وبدت في عينيه نظرة خطرة بعد أن أصابت أوليفيا منه وتراً حساساً.

بدا واضحاً أن الضرر أبعد من ساقه.

وقالت له غرير بفرنسيتها السيئة: «مسيو لوك، ألس كذلك؟ آسفة لهذا الخطأ غير المقصود من ناحيتنا. نسيت أن أخبر السنيور «موريتي» أن لدينا حساسية على السمك».

وقالت بايبر: «من المحزن ان هذا العشاء الرائع الذي تعبت في طهيه

www.elromancia.com

رغم سوء حالة ساقك، سيذهب سدى».

والتفتت أوليفيا إليه وهنَّ خارجات من الصالون: «ماذا قالت ماري أنطوانيت ذات مرة؟ «إذا لم يستطع المسافرون ان يأكلوا السمك، فليأكله البحارة».

هذا عظيم، يا أوليفيا! تابعنَ السير بوقار بالغ إلى غرفة جلوسهنَّ. وعندما أقفلن الباب خلفهن، التفتت غرير إلى شقيقتيها. وهذه المرة هي التي وضعت إصبعها على شفتيها لتهمس قائلة: «لقد وقعنا في مصيدة».

فهمست بايبر ثائرة: «أخبريني عن ذلك؟».

وقطبّت أوليفيا حاجبيها بغضب: «كل هذا بدأ منذ احتجزتنا الشرطة في مطار جنوى لمدة ثلاث ساعات من أجل أمر انتهى الاستفسار عنه بعد دقيقة واحدة، ولم نكن نعرف عنه شيئاً؟.

- عندما قابلت انا مساعد القبطان في «سبلينديرو»، لم يكن هذا مصادفة. وعندما أرسل نادلاً ليحضر لي العباءة أطاعه على الفور. كيف حدث هذا؟ ولمَ؟ أفرغ حقيبة ملابسي؟ لم ندفع مبلغاً طائلاً من المال يجعلنا نستحق خدمة خاصة. أظن أن بحارتنا لديهم صديق في الشرطة.

فصرخت بايبر: «طبعاً. عليك دوماً ان تحسبي حساب رجل من قانون فاسد. ولعل السنيور «موريتي» مشترك معهم في هذا، سرقة السياح الاغنياء طريقة عظيمة للحصول على دخل خاص».

فقالت أوليفيا: «تماماً. وعندما قلنا له إن دوقة كينغستون تريد السرية أنذر الآخرين الذين أخبروا ضابط الامن المغرور ذاك بأن يفتشنا عند وصولنا المطار».

فأومأت بايبر: «منذ اللحظة التي رآنا فيها نضع قلادات الدوقة، أبلغ عصابته. تصوروا أنه ما زال لدينا أكثر من ذلك بكثير، ثم تدافعوا لتجهيز المركب».

وقالت أوليفيا بهياج: «الطاهي الذي يشبهه يطهي للأسرة المالكة... لا اصدق ذلك ولو لحظة».

فتأوهت غرير: «كلما تذكرت أنني طلبت منك أن تساليهم عما إذا كان بإمكاننا ان نستقل المركب وحدنا اذا ما دفعنا ألف دولار للواحد...!».

هزّت أوليفيا رأسها: «لا بد أنهم فركوا ايديهم مبتهجين».

وأعلنت بايبر: «حسناً، لن يفلتوا منا بما أخذوه. عندما نصل إلى جنوى سنذهب على الفور إلى القنصلية الاميركية ونخبرهم بما حدث».

وكانت غرير تنظر إلى الخارج فسألتها: «أتعنين «إذا» وصلنا إلى جنوى. انظرنَ يا بنات، ما زال المركب يتجه بنا شرقاً وليس غرباً».

- لِمَ لا يدهشنا هذا؟

أخذت الفتيات الثلاث يحدقنَ في بعضهن البعض قبل أن تقول أوليفيا: «نسبح حالما نصبح قريبات بما يكفي من الارض اليابسة او من اقرب مركب يمر بنا».

اتسعت عينا بايبر: «هل بإمكاننا ذلك؟».

- طبعاً، ما من تيارات هنا بقوة تلك التي في «هدسن». إذا لبسنا ثياباً عادية بدلاً من ملابس السباحة عندما نصعد إلى سطح المركب، فلن يشتبهوا في شيء، خصوصاً إذا لم نخلع أحذيتنا الخفيفة.

فقالت غرير: «فكرة جيدة، وعلينا أن نبقى معاً. لذا، يبدو أني سأحتاج لملابس من حقائبكما».

- هذا حسن. وماذا عن جوازات السفر والتذاكر؟

وكانت غرير تفكر في ذلك فردت: «دعيها. سنضع المال الذي أحضرناه معنا في بطانة صداراتنا. وعندما نصل إلى الشاطئ سنخبر الشرطة بما حدث فتقبض على الخاطفين ونستعيد حقائبنا. لكن في حال حدوث خطب ما، ولم نسترجع أمتعتنا وقلادتينا، فسأدس قلادتي في صدرتي ليبقى لدينا أثر واحد على الاقل من إرثنا للاجيال القادمة».

- هذا تفكير جيد، يا غرير.

وسارت أوليفيا إلى السلة: «من الأفضل أن نأكل مزيداً من الفاكهة

والشوكولا لكي نحصل على مخزون من الطاقة، فسنحتاج إليه».

بعد ثلث ساعة كنَّ قد شبعن، ولبسنَ ملابسهنَ ثم وضعنَ خطتهنَّ.

همست غرير: «هل كل منكما جاهزة مع سترة النجاة؟».

سيحملن سترات النجاة إلى السطح فيبدين وكأنهنَّ يتبعنَ القوانين.

وأومأت شقيقتاها.

- فلنذهب إذن... تصرفا بهدوء.

كان البحر هادئاً وأزرق والنسيم كافياً لنفخ الأشرعة بحيث سار المركب من دون عون المحركات. كان الوضع رائعاً للهرب.

عندما يقفزن من فوق السطح، سيضطر البحارة لأن يديروا المحركات لكي يقبضوا عليهنَّ. وقررت الفتيات أن يتمسكن بتلك الفرصة فيسبحنَ إلى حيث لا يمكن الوصول إليهنَّ.

وجدوا الثلاثة الذين يأسروهنَّ على السطح. كان مساعد القبطان واقفاً بجانب الرجل المسمى لوك الذي راح يتسكع حاملاً عصاه. لا شك أنهما كانا يتحدثان إلى القبطان، مستمتعين بالتفكير في الليلة القادمة.

أدارت غرير رأسها في الاتجاه الآخر بابتسامة متكلفة مفكرة... استمتعوا كما تشاؤون فهذا لم ينفعكم.

اتبعت مع بايبر خطة أوليفيا، فسارتا إلى مقدمة المركب. وابتهجت وهي ترى المركب يتجه نحو رأس بحري. ربع ساعة أخرى في هذا الاتجاه وستتمكّن الفتيات من السباحة لبقية المسافة.

استعملن سترات النجاة وسائد تحت رؤوسهنَّ، ثم تمددنَ يستمتعن بأشعة الشمس التي ما زالت دافئة رغم أن الوقت تجاوز السابعة.

ما أن أغمضت غرير عينيها حتى شعرت بسمكة القرش قربها، سمكة قرش استطاعت أن تجلس القرفصاء بقربها تفوح منها رائحة الصابون.

- من المؤسف أنكنَّ لم تمكثن في غرفة الطعام لتستمتعن بلحم الحمل الذي أعدّه لوك.

تنفست بعمق وتمتمت من دون أن تفتح عينيها: «لا نستطيع أن نأكل

سمكاً، ولم نكن نعلم أنه طهى شيئاً آخر. أنا واثقة من أن ذلك الطعام أعجبكم».

- طهيه لذيذ دوماً. وأنتنَّ خيبتنَّ أمله بعدم تذوقه. إنه سريع التاثر حالياً.

اي هراء ينطق به مساعد القبطان الآن؟ وسألته: «لماذا؟».

- لقد تعرض لحادث اصطدام فظيع، وهو محظوظ جداً لأنه لم يفقد ساقه. ورغم ألمه، أعدّ لكنَّ طعاماً رائعاً. أقل ما عليك أن تفعليه الليلة قبل الذهاب إلى النوم هو أن تطلبي من إحدى شقيقتيك أن تذهب إليه لتشكره.

أتراه يعني أن تذهب بايبر أو أوليفيا إلى الطاهي لتمنحه السلوان؟ يا إلهي! لا شك في أن هذا ما يعنيه هذا الرجل، يا له من قارب يملكه مجموعة من الحمقى!

- أتقول إنه أحد أولئك الطهاة الذين يتأثرون بسرعة عندما يظنون أنهم تعرضوا للاستخفاف والسخرية؟

- هذا انتقاء سيء للكلمات، يا غرير. أنت وشقيقتاك جرحتن شعوره بتعليقاتكن. أتريدين أن تحمّلي ضميرك هذا ايضاً؟

- ايضاً؟...

- نعم. ما أجمل شفتيك! لكنك تطعنيني دوماً في قلبي بلسان أشبه بسيف مسموم.

لم تعرف غرير أتبكي أم تضحك. فهو تارة يخيفها برجولته المتسلطة، وتارة يظهر بشكل ساحر لا يقاوم فتكاد تذوب.

إنها لا تستطيع أن تجاريه... ربما كانت لتغفر له اي شيء لو لم تعرف أنه لص.

- إذا كان هذا كل ما جئت لتخبرني به فأفضّل أن آخذ حمام الشمس بمفردي.

- لسنا وحدنا يا غرير، وجسمك لا يتعرض إلا للقليل من اشعة

الشمس لارتدائك كل هذه الملابس. إنني، لحسن الحظ، ما زلت أتذكر ليلة أمس حين رأيت جمال ونعومة بشرتك التي تجعلك الحكمة تغطيها. ذكرياتي تلك ستُبقي النار مشتعلة حتى الغد.

سرت رجفة لا إرادية في جسمها!

- الغد؟؟

- الكهف السري الازرق الذي حدثتك عنه هو خارج «سان ريمو» بالضبط. المحطة التالية على خط رحلتك.

- لكنك لا تتبع خط رحلتنا؟

ونظرت إليه لترى رد فعله. وفي جزء من الثانية ظنت أنها لمحت الرغبة البدائية في عينيه قبل ان ينسدل جفناه كستار على نافذة.

- إلى أن ينتهي الاحتفال بتسليم «الجائزة الكبرى»، ستجدين صعوبة في تجنب الزحام. في الواقع، مع وجود كل هؤلاء السياح، تستحيل رؤية الريفييرا دي ليفانتي. وما دمت معجبة بـ«دوماس»، فربما تودين أن تري الليلة مسكن نابليون دي بونابرت عندما نفي إلى جزيرة «إلبا».

إلبا... مجرد لفظ هذه الكلمة أعاد إلى ذهنها عهداً غابراً من التاريخ وسحراً قرأت عنه فقط في الكتب.

أتراه يرجو أن يجعلها ذكر نابليون تفشي مزيداً من المعلومات عن إرثها الملوكي الايطالي فيتمكن من معرفة ما إذا كان لديها مزيد من المجوهرات ليسرقها؟

- إذا شئت، سنغطس قرب «ايسولا بيانوزا»، في الصباح. في قاع البحر حديقة لا يستطيع أحد أن يدخلها من دون رخصة مسبقة. في رأيي أنه أجمل مناظر العالم الموجودة تحت الماء.

اي منظر تحت الماء يتحدث عنه هذا؟

لو لم يكن محتالاً، لاستطاع أن يقنعها بالقيام بأي شيء...

وتابع يقول: «بعد أن تستمتعنَّ بوجبة الطعام، سنتوقف عند «جزيرة مونت كريستو» ونبحث عن كنوز مدفونة. من يعلم ما قد نجده».

تكلّم بطريقته المطاطة المغرية التي لا تعني سوى أمرا واحد لسارق مثله. وسرت رجفة في جسدها.

- أعلم جيداً ما سنجده، يا سنيور. حضّرت فروضي جيداً قبل أن نحضر إلى إيطاليا. مجرد أكوام من الصخور المعزولة التي لا رغبة لديّ في رؤيتها. أفضل أن ارى الناس في «مونتروسو».

فقال بهدوء: «الناس الفرحون الذين لا يعلمون أنهم موجودون على ارض معركة بين أسرة رومانية والغزاة من «بيزا». ولكن، إذا كان هذا ما تريدينه..».

قالت وهي تنقلب على جانبها لتوليه ظهرها: «نعم، هو كذلك».

لم تصدق غرير حين شعرت بأنامله على رقبتها. ابتلعت ريقها ولم تنظر إليه.

إذا استمرت في مقاومته، فقد يحاول هو أو عصابته من اللصوص الاقوياء، أن يأخذوهن من المركب بالقوة إلى القصر حيث يحتجزونهن في غرفة مقفلة ويهربون بما غنموه.

لن يكون في ذلك دواء لرجولتهم المجروحة وحسب، بل سيري فكرتهم عن العدالة نحو الاميركيات المغرورات اللاتي عاملنهم بذلك الشكل السيء.

لدي خبر لك، يا ماكس، أو مهما كان اسمك الحقيقي، هو أنك لم تر شيئاً بعد!

ورفعت رأسها بعد دقيقة فاشتبكت نظراتها بنظرات شقيقتيها. قرأت في التعبير الذي بدا على ملامحهما أن مدينة ليريسى قريبة بما يكفي للوصول إليها. وعندما توجّه ماكس نحو ابني عمتيه، حان الوقت لتنفيذ خطتهن. ورفعت أوليفيا إبهامها كإشارة.

فهمست بايبر: «الكل للفرد والفرد للكل».

وبقفزة هائلة إلى المياه الزرقاء الدافئة، أخذت في شق الامواج الخفيفة نحو الشاطئ.

دخل ماكس قمرة القبطان عابساً، فنظر نيك إليه متسائلاً: «ما الذي حدث؟».

فأجاب ماكس بكآبة: «اتصل بشرطة الميناء وأخبرهم بأن ينتظروا مركباً للنزهة في المرسى. ما دام كل ما قلته او فعلته لم يجعل غرير تضعف إلى حد يجعلها تفصح عن أي معلومات، فلعل التهديد بالقانون سيخيفها. أريد أن أعلم كيف حصلن على القلادات».

كان نيك قد بدأ بالاتصال عندما التفت ماكس إلى لوك: «إنتبه جيداً لحمولتنا الثمينة ريثما أنزل إلى الاسفل لأبحث عن قلادة غرير. لست واثقاً من أن ضيفاتنا الداهيات، إذا تركنَ من دون رقابة، لن يختطفن القارب الخفيف ويهربن على متنه».

فقال لوك عابساً: «أتظنهنَّ سيذهبنَ إلى ذلك الحد ليعدنَ إلى منتيروسو؟».

فكر ماكس لحظة ثم قال: «وإلى أبعد من ذلك. هل رأيت قط امرأة باردة كالحجر وبالغة الرزانة تضع قلادة الدوقة ثم تقفز إلى بحيرة «سبلينديرو» بكامل ملابسها؟».

فشخر لوك وقال: «فهمت!».

بعد إقدام غرير على كشف مشاعرها بين ذراعيه منذ فترة قصيرة، افترض ماكس أنه جعلها تستسلم. لكن يبدو أنه أخطأ فتلك المرأة المغرية ذات العينين البنفسجيتين ممثلة بارعة.

وتصاعدت المشاعر السلبية في نفسه نحوها لتمثيلها ذاك. لن ينسى فعلتها أبداً... وترك قمرة القيادة فحانت منه التفاتة إلى مقدمة المركب وإذا به يجمد مكانه. كل ما رآه هو ثلاث سترات نجاة ملقاة حيث تركتهنَّ النساء بالضبط.

رأى ماك ما رآه ماكس فتحرك بأسرع ما يمكنه وقال: «ما زال القارب الخفيف في مكانه. ربما نزلن إلى غرفتهنَّ لغرضٍ ما. سأرى بنفسي».

لعل لوك على صواب. لكن ماكس سبق وعرف أن التوائم الغامضات يتصرفن في حياتهن بقواعد مختلفة كلياً وحدثته غريزته بوجود خطب ما، فعاد إلى قمرة القيادة حيث كان نيك يتحدث هاتفياً، فأخذ المنظار وعاد إلى الخارج ووضعه على عينيه.

على بعد ثلث المسافة بين المركب والشاطئ رأى ثلاثة رؤوس شقراء تعلو وتهبط في المياه. كنَّ يسبحنَ بمهارة. وتملكته دهشة بالغة إزاء هذا المشهد المذهل.

عاد إلى قمرة القيادة: «لقد قفزت ضيفاتنا عن سطح المركب إلى البحر من دون سترات النجاة».

- يا إلهي العظيم!

- قلقك عليهنَّ لا داعي له. إنهنَّ يسبحنَ كالسمك وسيصلنَ إلى الشاطئ في وقت قصير. أخبر الشرطة أن يخرجوهنَّ بسرعة إلى الشاطئ.

وبعد دقيقة، جاء لوك حاملاً بيده ثلاث جوازات سفر وتذاكر سفر: «أنت على صواب، يا ماكس. ما كان لي أن استخف بشأنهنَّ ابداً. انظر إلى هذه».

وفتح حقيبة مجوهرات غرير التي كانت خالية. وعندها نزل الالهام على ماكس، فتوترت شفتاه غضباً: «لا أحد يترك جواز سفره خلفه إلا إذا كان يعرف شخصاً عالي المقام في السلك الديبلوماسي ليساعده».

التقت عينا نيك بعينيه: «لا بد أن ذاك هو لص مجوهراتنا. شخص يتعامل مع أسرتنا كصديق ولديه مفوضاً في الشرطة أو اثنين».

- أتعني فاوستو غالي؟

- ولماذا لا؟ فهو من اتصل بك إلى لندن ليخبرك بأن ثلاث نساء أوقفن في المطار لأنهنَّ يضعن قلادات مماثلة.

- إنه طعم لا يقاوم.

وتنفس ماكس بعمق، فيما قال نيك: «كان هذا هدفهنَّ طبعاً. وقد خططن له منذ أجرين الحجز مع «فابيو».

- أنت على صواب. وهربهنَّ من المركب لم يكن حادثاً عرضياً، فهنَّ سابحات ممتازات. ليس لدي شك في أنهنَّ غادرن المركب للاجتماع بشخص ما في «مونتيروسو» لتسليمه القلادة.

- شخص مرسل من غالي.

وأوما لوك: «هذا مفهوم تماماً. لص المجوهرات يحتفظ بالقلادة الاصلية فيما تلبس اثنتان القلادتين الزائفتين ليختلط الامر على الكل، ثم يدفعك في اثرهنَّ في النهاية وتضعهنَّ وراء القضبان. الكل سيكون سعيداً ظناً منه أن الامر انتهى. أنت تستعيد قلادتك، والسنيور غالي يجد وسيلة يخفض بها الحكم على الاميركيات لحسن السلوك، وفي الوقت نفسه..».

- وفي الوقت نفسه يحتفظ المذنب الحقيقي بما سرقه من مجوهرات الاسرة، ويصبح حراً في متابعة سرقة المجوهرات من دون أن يثير الشكوك.

- كلامك منطقي.

- لوك، ساعدني على خفض الأشرعة بينما يدير نيك المحركات. في طريقنا إلى الميناء سأتصل بالسنيور غالي وأخبره بأن السرقة تمت في كولورنو ما يعني أن المسألة تحت سلطته.

فقال نيك: «لن يعجبه هذا».

- لكنه لا يستطيع القيام بأي شيء حيال هذا الامر، خصوصاً عندما أخبره أنني أعطيت تعليمات لمسؤول الشرطة كي ينقل النساء الاميركيات من مركب الشرطة إلى السجن في كولورنو.

- من الافضل ان تطلب من المسؤول في الشرطة أن يفرّق بين التوائم الثلاث، فلا يستطعن أن يخططن للهرب مرة اخرى. إن تفكيرهن متشابه وهذا يجعلهنَّ خطرات بشكل خاص.

- سأسبقك يا لوك.

لمعت عينا ماكس وهو يحدق في ابني عمتيه: «دوقات كينغستون يتذوقن طعم السجن الايطالي. سيمنحهنَّ هذا ثقافة هنَّ بحاجة إليها.

بعدئذ، نتعامل معهنَّ في الوقت والطريقة المناسبتين لنا، مفهوم؟».

وتلا ذلك قهقهات عميقة هادئة. وعاد يقول بلهجة مطاطة: «عاجلاً أم آجلاً، سأقدم لهن صفقة سيوافقن عليها. سنتمكّن من سحب دعوى السرقة بحجة أنهن صديقات لأسرتنا فينتهي الأمر».

www.elromancia.com

٦ - سرّ القلادة

نظرت غرير من خلال قضبان الزنزانة إلى حارس السجن السمين الذي وضعه الضابط المسؤول لحراستها.

- هل الكل هنا مجنون؟ كان على الشرطة أن تقبض على لصوص المجوهرات في ذلك المركب، بدلاً من أن يقبضوا علينا أنا وشقيقتي.

- هذه ليست مشكلتي، يا آنسة.

انقبضت يداها: «في الولايات المتحدة، يُسمح للموقوف له بأن يتصل بمحام. إذا لم تشأ أن تدعني أستعمل الهاتف، فاتصل به أنت بدلاً مني. تركت رقم السيد كارلسن مع الضابط. سأدفع أجر الاتصال».

أوراق العشرين دولاراً مبللة مع ملابسها لكنها ما زالت صالحة.

- كل شيء في وقته، يا آنسة. إننا في منتصف الليل، ولا يمكننا أن نفعل شيئاً قبل الصباح.

- أريد أن أرى شقيقتي.

- هذا غير ممكن. ربما غداً.

- أريد أن أعرف أين نحن الآن.

- كل شيء في الوقت المناسب.

- أريد أن أعرف لما وضعتمونا هنا!

- أنتنّ النساء تتصرفن وكأن هذا فندق فخم وليس سجناً. لقد وجدوا قلادة الدوقة الضائعة منذ السنة الماضية حول عنقك. هذا جواب عن سؤالك.

- السنة الماضية؟ أتعني أنّ ثمة قلادة اخرى؟

- وكأنك لا تعلمين يا سنيورا!

- لكنني فعلاً لا أعلم، نحن الثلاثة لا نعلم. اسمع، القلادة التي أضعها هي قلادتي أنا!

- وكيف وصلت إليك؟ أيمكنك أن تجيبيني؟ هل خرجت القلادة من المتحف في قصر «دوكال» وحدها؟

- أنا أحاول أن اشرح لك الأمر بينما انت ترد عليّ بخشونة يا سنيور.

- أنت من تصرف بشكل فظ للغاية حين سرقتها.

- وكيف أسرقها وهي هدية لي من أبويّ؟

- و«مدينة الفاتيكان» أهداها إليّ أبوايّ!

- كن لئيماً قدر إمكانك، لكن هذه هي الحقيقة.

- لقد سرقها أبواك إذن. هل هذا ما تقولينه؟ سيتر أسرة بارما - بوربون جداً أن تعرف هذا.

- أنا لا أقول هذا. توارثت اسرة «الدوقة» هذه القلادة من جيل إلى جيل حتى وصلت إلى يد أبي من أبيه!

أرجع الحارس رأسه إلى الخلف وقهقه ضاحكاً: «ما من أسرة باسم «الدوقة» يا آنسة.

- إذا نظرت في جواز سفري، فسترى أن شهرتي هي «الدوقة» أي «دتشيس» بالانكليزية.

- أي جواز سفر؟ عندما سجنتكن الشرطة لم يكن معك أي جواز سفر.

- تركنا جوازاتنا في المركب مع تذاكر السفر لأننا توقعنا أن تعاد إلينا عندما تقبض الشرطة على لص المجوهرات الحقيقي!

- أنتم الاميركيون تعشقون النكات.

يبدو أنه وجد ما قالته مضحكاً، ونهض ليسير في الممر الخافت الضوء. فصاحت به: «انتظر! ارجع، أرجوك؟».

www.elromancia.com

- ليلة سعيدة، يا آنسة.

ستكون ليلة طويلة وكئيبة. كانت الشرطة قد أعطتها بطانية لفتها حول جسمها، كما وجدت بطانية اخرى مع ملاءة على سرير بجانب الجدار، فضلاً عن إناء ماء.

لم تستطع غرير أن تصدق هذا. إذا أمضى كل من يُقبض عليه ليلة في مكان كهذا، فسيفكر مرتين قبل اقتراف جريمة أخرى.

كانت الزنزانة رطبة، فقررت أن تخلع ملابسها ثم تلف الملاءة حولها، آملة ان تجف ملابسها حتى الصباح.

كان حذاؤها الخفيف قد تلف لكنها لم تتذمر.

لم تجد مكاناً لتعلق فيه ملابسها فبسطتها على الارض مع البطانية المبتلة. وبعد أن وضعت جانباً الاوراق المالية لكي تنشف هي ايضاً، استلقت على السرير.

لا بد أن الفراش محشو بالقش، لكنها كانت من الإرهاق بحيث لم تهتم بذلك. نامت على جنبها متخذة ذراعها وسادة، وسحبت البطانية الثانية إلى ما فوق رأسها، لا تعرف نوعية الزواحف التي ستمضي الليل معها.

وبما أنها تفتقد أختيها بشكل فظيع، أخذت تدق الجدار كما اعتادت ان تدق الباب الامامي في بيتهم لتجعل أختيها تعلمان أنها في الجوار.

لكن بعد خمس دقائق، لم تتلقَ أيّ جواب منهما، فتخلت عن ذلك وأغمضت عينيها.

خطتهنَّ للهرب سارت على أحسن ما يرام. وعندما اتجه قارب الشرطة نحوهنَّ، بدا ذلك وكأنه عون إلهي. وقدمت السلطة إليهن العون ليخرجن من الماء ولكنها لا تريد أن تتذكر ما حدث بعد ذلك.

بعد أن أعطتهن الشرطة بطانيات، رافقتهن إلى الميناء، حيث وضعنَ في سيارة «فان» من دون نوافذ، ومن دون أي إيضاح. لا بد أنهنَّ أمضين ساعات على الطريق قبل أن يلقى بهنَّ هنا. أما القلادة فقد صودرت

منها.

أي ضحكة أطلقها ماكس وهو يبتعد هارباً مع جماعته ومعه القلادة التي قد تكون الأصلية؟

وحبست أنفاسها لذكرى عناقه، وتمنت لو بإمكانها أن تتخلص من هذا الألم الذي لم يبارح جسدها منذ عانقها.

* * *

- السنيور دي «فارانو». هذا شرف عظيم.

- حضرة الضابط؟ اسمح لي أن أقدم إليك ابني عمتي، لوسيان دي فالكون ونيكولاس دي باسترانا، إننا هنا لنحقق مع النساء السجينات.

- يا لها من مأساة أن تخرق الشقيقات الرائعات الجمال القانون!

لم يشأ ماكس أن يسمع ذلك فسأله: «هل رتبت زنزاناتهنَّ بالشكل الذي أشرت به عليك؟».

- طبعاً فعلت.

- منذ متى هنَّ هنا؟

- منذ ساعتين تقريباً.

- هذا حسن. هل سبين لكم أي مشكلة؟

- مشكلة؟ لا. صاحبة العينين البنفسجيتين تملكها الذعر من أن تُسجن من دون أن تعرف ما هي جريمتها. عليّ أن أعترف بأنني تأثرت.

وبالرغم من شعور ماكس بالاحباط لهربهنَّ بهذا الشكل، حاول ألّا يضحك وهو يسأله: «وهل أخبرتها السبب؟».

- نعم.

- ماذا كان جوابها؟

- استنكرت ذلك قائلة إنها بريئة. كلهنَّ ادعينَّ البراءة وطالبن بالاتصال بمحاميهنَّ، كما وضعت ذات العينين الخضراوين ورقة عشرين دولاراً في يدي ترشوني بها.

ضحك نيك بينما تابع الضابط كلامه: «أخبرتني صاحبة العينين

الزرقاوين الملتهبتين بأن كل سجين في الولايات المتحدة تقدم له وجبة طعام كاملة في أول ليلة له في السجن، وهي بحاجة إلى واحدة. وقد توقعت مني أن أطيعها ودسّت ايضاً في يدي ورقة عشرين دولاراً مبللة بالماء».

قال لوك ببرودة: «كان بإمكان الآنسة أوليفيا أن تأكل قبل هربها».

نظر الضابط إليهم وقال: «بالإجمال، كان سلوك الآنسات حسناً. وأعترف بأن هذا أدهشني. فهن لم يتذمرن لعدم حصولهنَّ على ملابس ليغيرين ملابسهنَّ المبتلة، او على أي مساحيق تجميل».

وخطر لماكس أن المرأة الرائعة الجمال لا تحتاج إلى أي مساحيق، لكنه قال كلاماً مختلفاً تماماً للضابط: «ذلك لأنهنَّ لصّات محترفات».

- لا بد أنهنَّ كذلك ما دمن سرقنَ مجموعة المجوهرات من دون أن يكتشفهنَّ أحد. بناءً على تعليماتك، طلبت من الحارس أن يفرق بينهنَّ.

- تماماً. هل لك أن تعطيني القلادة من فضلك؟

- طبعاً.

وفتح الضابط درج مكتبه حيث كانت القلادة موضوعة في كيس صغير، وناولها إلى ماكس الذي وضعها في جيب سرواله.

الآن، وبعد أن حصل على القلائد الثلاث، سيأخذهنَّ إلى السنيور روسي الذي سيكتشف على الفور الأصلية.

- هل لك أن تبلغ الحراس بأننا جاهزون للتحقيق معهن؟

ثلاث فتيات ذوات جمال غريب، متشابهات في أمور ومختلفات في أمور أخرى. ذكيات وغامضات لكنهن... مجرمات.

أومأ الضابط وقد كفّ عن الابتسام، بينما أخبر ماكس ابني عمتيه بأنه سيوافيهما خلال ساعة قبل أن يعودا إلى الفيلا. وأشار إليه الحارس فسار معه حتى دخلا من باب لم يكن موصداً.

- إنها في الزنزانة الوسطى في منتصف ذلك الممشى حيث ما من سجناء أخرين.

- هل أخبرتك بأي شيء رأيته هاماً؟

- قالت إن والديها منحاها القلادة التي تضعها، وإن القلادة تتوارث من جيل إلى آخر في أسرة «الدوقة». وقد أخبرتها أنا من اسرة بهذا الاسم.

- فهمت، شكراً لهذه المعلومات. سأقرع الباب حين أتهيأ للخروج.

- هذا حسن.

وفي الضوء الخافت، أول ما لاحظه ماكس هو حذاؤها المسند إلى الجدار ليجف، والى جانبه تنورتها وبلوزتها ثم ملابسها الداخلية. تنقلت عيناه بين قطع الملابس اللاتي صُفت بشكل منتظم بقرب أوراق مالية من فئة العشرين دولاراً!

اثار اهتمامه مدى محافظتها على النظام. وعندما وقع بصره عليها وهي ملتفة بالبطانية ومتكورة في السرير الحقير الضيّق ووجهها إلى الجدار، شعر بضيق غريب في صدره.

لا بد أنها سمعت الاصوات عندما فتح الحارس الباب الخارجي، فادعّت النوم، ما جعل قلبه يقسو عليها فأخذ يدق على الحاجز.

- انهضي يا آنسة. استيقظي.

تحركت ثم استدارت نحوه وهي لا تزال ملتفة بالبطانية: «هل ستدعني أجري الاتصال الهاتفي الآن؟».

- بمن ستتصلين؟

- والتر كارلسن.

- ومن هو؟

- محامي والدي.

- ولمَ لا تتصلين بوالدك؟

- لاَ أستطيع، إنه ميت.

خفق ماكس أهدابه. خبرته في التحقيق جعلته يعتقد بأنها صادقة معه.

- أين يسكن ذلك المحامي؟

- في كينغستون، نيويورك. سيكفلنا أنا وشقيقتيّ.

- عليه أن يفعل أكثر من هذا بكثير، يا سنيورا. لقد انتحلت صفة دوقة من اقارب أسرة بارما - بوربون، وانت تمتلكين قلادة «الدوقة» المسروقة. وهذا كله يشكّل جريمة كبرى ضد دوقية بارما. ويؤسفني أن أقول انك تواجهين حكماً بالسجن.

انتبهت غرير إلى أنها سمعت ذلك الصوت الرجولي المميز من قبل ففتحت عينيها على اتساعهما وجلست بسرعة فانزلقت البطانية.

في المحيط المعتم نسبياً، استطاعت ان ترى جسم مساعد القبطان القوي الذي وقف في الردهة أمام زنزانتها، كما استطاعت أن تشعر بتلك العينين السوداوين الملتهبتين تتفحصانها بدقة.

جذبت البطانية إلى عنقها وقلبها يخفق بعنف بالغ: «لديك الجرأة لان تأتي إلى هنا بينما يُفترض ان تكون أنت في الزنزانة».

- لست أنا من قُبض عليه وهو يضع القلادة حول عنقه.

- لكنك سرقت القلادتين الأخرين، فلا تزعج نفسه بإنكار ذلك.

- ليس في نيتي الانكار.

هذا الرجل عديم الاخلاق حقاً.

- كيف جئت إلى هنا؟ لا... لا تزعج نفسك بالاجابة عن هذا السؤال. لا فائدة من ذلك ما دمتم جميعاً عديمي الشرف.

- جميعاً؟

- أي جزء من تلك الكلمة لم تفهمه؟ نعم، جميعاً. كل واحد منكم: القبطان، الطاهي، صاحب المركب، الضابط، الحارس، النادل في فندق سبلينديدو. أتريدني أن أستمر؟ كلكم أعضاء في عصابة واحدة. هذا يبعث على الغثيان.

شدّت اصابعه على الحاجز وكأنه يريد أن يخنقها: «لكنني رأيت بنفسي عصابة الفتيات اللواتي خططن للهرب من المركب».

- نحن عصابة؟ كم سأسخر منك حين تحاول أن تبيع القلائد فتكتشف أنها لا تساوي أكثر من مئتي دولار للواحدة.

- وماذا عن تلك التي كنت تضعينها عندما سبحت؟ هل ستقولين إنها لا تساوي سوى مئتي دولاراً هي ايضاً؟

- وماذا لو قلت هذا؟

- لن يصدقك أي قاضٍ في العالم، خصوصاً بعد أن تركت جواز سفرك وراءك وهو ما لا يمكّنك أن تشتريه لا بالذهب ولا بالفضة إذا اضطررت للبقاء في بلاد غريبة.

- هذه بلاد غريبة، ومع ذلك يمكن الحصول على جواز سفر بديل، يا سنيور... لكنك لا تستبدل إرث الاسرة المتوارث على مدى أجيال... وسكتت...

- ها قد وصلنا إلى شيء ما الآن.

- وصلنا إلى شيء ما؟ هذا كلام محام. لماذا لا تهتم بجريمة حقيقية، كجريمة سرقة المتحف التي تحدّث عنها الحارس؟

فقال بصدق: «لا تظني أننا لم نحاول ذلك؟».

- أتعلم؟ حتى لو مرّ سلوكك هذا في هذه الدنيا من دون قصاص، فستجد ذلك القصاص في الحياة الاخرى!

- حينذاك، سنُحرق معاً، هذا إذا كنت تذكرين كيف أوشكنا على أن نحترق في غرفة جلوسكنّ اليوم.

- وحده فتى عابث حقيقي يذكرني بذلك.

- هذا كلام امرأة استمتعت بكل دقيقة من وقتها بدلاً من أن تصفعني. لو أن أختيك لم تختارا تلك اللحظة لمقاطعتنا...

- نعم؟ هل كنت ستتصرف بشهامة وتطلب مني الزواج؟

بعد صمت مثقل، سمعته يتنفس بعمق: «هل هذا هو سبب كل ما جرى؟ الزواج».

ارتسمت على وجهها ابتسامة راضية: «بالنسبة الى سارق مجوهرات

ماهر، استغرب أن يأخذ منك فهم الامر كل هذا الوقت».

* * *

تملكت ماكس الدهشة او بالاحرى الذهول. أراد اعترافاً، فلماذا اختلطت الامور فجأة بالنسبة إليه؟

لقد تعامل هو وابنا عمتيه مع صائدي الثروات طوال حياتهم، وكان بإمكانهم أن يتخذوا الخطوات اللازمة كيلا يفلتوا من بين أيديهم.

- إذن... قضية القلادة هذه لم تكن سوى حيلة للتعارف ما قد يؤدي إلى عرض للزواج؟

- بالضبط. لكن لعله من سخرية القدر أن من اخترناهم من الرجال كانو اسوأ منا بدرجات.

عندما خطر له أنه اكتشف شيئاً ما، فإذا بها تقول ما نسف نظرياته كلها: «أنت إذن تعترفين بأن القلادات هي نسخ عن الأصل؟».

- ما عدا واحدة منها.

- تلك التي ورثتها أسرتك؟

- نعم.

شتم ماكس بهدوء. لدى هذه المرأة القدرة على أن تربكه: «من منكنّ صاحبة هذه الخطة؟».

اراد أن يعلم بقية القصة. في الواقع، لم يحدث له قط في حياته أن وجد التسلية والاحباط في القضية نفسها.

- والدانا، ولكن بشكل غير مباشر.

- ماذا تعنين بعبارة غير مباشر؟

- كان شرط والدينا للحصول على المال الذي تركاه لنا هو أن نستعمله للحصول على زوج؟

صندوق توفير؟ الحصول على زوج؟ وانفجر ضاحكاً: «كم هو المبلغ؟».

- خمسة عشر ألف دولار. خمسة آلاف لكل واحدة منا.

- ظننت أن قيمة القلادة لا تتعدى مئتي دولار؟

- هذا صحيح، ما عدا النسخة الاصلية التي ليس لدي أي فكرة عما تساويه. وما دمنا ثلاث توائم، وكان هناك قلادة واحدة، فقد طلب والدانا من الصائغ نسختين شبيهتين بها. وقد أهدياها لنا في عيد ميلادنا السادس عشر لنورثها لأولادنا. أراد والدانا أن يتأكدا من أن جيلاً آخر من الدوقات سيجيء، وهو أمر لم تكن أي منّا مهتمة به.

أغمض ماكس عينيه بشدة. لا أحد يمكنه أن يختلق مثل هذه الحكاية الغريبة؟

- على أي حال، لقد أنفقنا المال على هذه الرحلة وعلى استئجار المركب «بيكسيوني».

- ولماذا اخترتن مركب «البيكسيوني».؟

- لان ابي اعتاد أن يسمينا «حماماته» تيمناً بسلفه الدوقة بارما التي كان لديها حمامة. وهذا هو شعار عملنا.

تماماً وكما توقع، من علّم التوائم الثلاث يعرف أسرته وتاريخها بشكل جيد جداً.

- ما هو شعار عملكنّ بالضبط؟

- حمامة الدوقة البيضاء!

ازداد شعور ماكس بأنه وسط حلم محير. وبدا له أنها مسرورة بنسج الأكاذيب فسألها: «وما هو نوع عملكن؟».

- لدينا شركة اسمها «تصاميم الدوقة».

- وما الذي تصممونه؟

- تقاويم. في الواقع، بايبر تضع الرسوم وأوليفيا تقوم بالتسويق.

- وأنت ماذا تفعلين؟

كانت الأمور في طريق التحسن.

- أفعل كل ما تبقى.

- مثل ماذا؟

www.elromancia.com

- التدقيق في الحسابات ومسك الدفاتر.

- فهمت.

- يدهشني أن تطرح كل هذه الأسئلة. لو لم تكن انت وجماعتك مهووسين باستغلال النساء الثريات، للاحظتم شعارنا في قعر حقيبة بايبر أثناء تقليبكم لمحتوياتها الشخصية. لقد اتصلنا ببعض وكلاء التوزيع في جنوى أمس أملاً بتوسيع شركتنا لتصبح دولية.

وتذكر ما أخبره به السنيور غالي من ان الآنسات جئن إلى اوروبا لبعض الأعمال بالإضافة إلى المتعة.

- لم تجبني عن سؤالي عن سبب اختياركن لمركب «البكسيوني». ؟

- عندما بحثنا في الانترنيت عن المراكب الشراعية لانها أرخص من اليخوت، رأينا مركباً يُدعى البكسيوني. بدا كأنه القدر فاخترناه. لكن تبين في ما بعد أنّ هذه أكبر غلطة قمنا بها.

- لا تقلقي، يا آنسة . . . إذا كنت متعاونة، فقد نصل إلى صفقة تعود بالفائدة على الجميع.

قالت بعد صمت طويل: «كنت أعلم هذا. اعترف بأن أحد أصدقائك في الشرطة اتصل بك قائلاً إن ثلاث نساء يضعن قلادات «الدوقة» سيتزلن في فندق «سبلينديرو». اعترف بأنك تبعتني وأنت تضمر لي السوء بينما شقيقتاي قريبتان. . . . أوضح لي السبب في سرعة إطاعة النادل لك وكأنه خادم. نعم. أوضح لي ايضاً كيف أمكنك ان تظهر بسرعة على المركب «البكسيوني» نائباً للقبطان لو لم تكن مشتركاً مع كثيرين في مثل هذه المؤامرات التي تدر أرباحاً طائلة. أجب على هذا».

هذا التحدي منها تركه مسحوراً ذاهلاً. ثمة امور كثيرة اخرى عليه أن يبحثها معها. قال: «في الوقت المناسب، يا آنسة».

- هذا ما قاله الحارس. إنه منطق الرجال. لكنك لن تخدعني. جئت إلى السجن لكي تعلم ما اذا كنا نملك مزيدا من المجوهرات في مكان ما. حسناً، لن تحصل على هذه المعلومات مني، حتى ولو أعطاك الضابط

مفتاح هذه الزنزانة. أنبهك إلى أن قدرتك على الاغراء ما زالت بحاجة إلى الكثير من التحسين. أي رجل جبان يمكنه ان يعامل بقسوة امرأة تضع سترة النجاة أو تقف وراء القضبان. عليّ أن أخبرك أنني كنت لأتأثر أكثر وربما أتجاوب لو استعملت معي أفضل أساليبك عندما رافقتني إلى غرفتي في الفندق «سبلينديدو». أما بالنسبة إلى مستواك كفتى عابث، فعلي أن أخبرك أن مرتبتك هي الرابعة على سلم درجات من واحد إلى عشرة. ومع الأسف، المرتبة الرابعة لا تنجح. حتى أن «دون» حلّ في المرتبة الخامسة، مع الأسف».

فقال بمرارة: «دون»؟ أتعنين «دون جوان». ؟

- لا. «دون» هنا هو «دون جاردين». وهو اميركي. وكان عليّ أن اقدره أكثر مما فعلت في البداية. ليلة سعيدة ايها السيد الغامض. وقبل أن أنسى، وفي طريقك إلى الخارج لكي تحبك مؤامرتك التالية مع أتباعك المخلصين، أرجو أن تطفئ نور الممر لأنني أريد أن أنام.

فتصلب جسمه: «يمكنك أن تحاولي ان ترتاحي. لكني لا أظن ذلك ممكناً بالنسبة لامرأة مثقلة الضمير مثلك؟».

كان مزاج ماكس عاصفاً حين خرج ليبحث عن ابني عمتيه، فوجدهما أمام باب الضابط يتمشيان وعندما رأياه جمدا مكانهما.

قال نيك: «تبدو كأنك نجوت لتوّك من انفجار».

- كنت على وشك أن أقول الشيء نفسه عنكما.

خفق نبض في جانب وجه نيك حيث ظهر جرح من مخلفات الحادث لم يشف تماماً بعد. قال: «لن تصدق ما سأخبرك به. الحكاية تتعلق بإحدى حفيدات الامبراطورة ماري - لويجيا والمعروفة بأنها كانت على علاقة براهب. تدّعي الآنسة أوليفيا أنها وأختيها من سلالة الطفل ثمرة ذلك الحب».

فتح ماكس فمه ذاهلاً: «ثبت أن تلك الاشاعة كاذبة وذلك منذ سنوات، وقلة هم من سمعوا بها. هل ثمة شك في أن لص المجوهرات

شخص يعمل من الداخل؟ عندما نستخلص اعترافاً كاملاً من الآنسات، لن نبحث بعيداً لنجد المجرم».

فقال لوك: «هذه القصة تتحوّل من سخيف إلى أسخف. وفقاً لسجيتنا الجميلة، قيل إنّ الحفيدة أجهضت، في حين أنها أنجبت صبياً عمّده الراهب، عشيقها سراً، وأسماه «دتشيس» ليخفي هويّته. بعدئذ أرسل الطفل الى «كورسيكا» حيث ربته امرأة لا أولاد لها وتدين بالولاء لآل «بونابرت». وداخل ملابس الطفل الوليد، ربط القلادة.

«وبعد أجيال عدة، نُقلت القلادة إلى أميركا حيث غُير اسم «دوقة» إلى ترجمته بالانكليزية «دوتشيس». وانتهى بها المطاف في نيويورك بين يديّ والد الآنسات الجميلات. وإذ لم يشأ أن يستخف بنسله، نسخ قلادتين أخريين عن الأصل، وبهذا أصبح لكل واحدة منهنّ قلادة تورثها لنسلها».

أذهلهم حجم هذه الكذبة. وأخيراً، نظر ماكس إلى نيك: «هل أخبرتك الآنسة بايبر الحكاية الخيالية نفسها؟».

فأجاب نيك بخشونة: «بل حدّثتني بكذبة أخرى عن حمامات رسمتها لأجل التقاويم التي تصنعها اسرتهنّ».

وانفجر ضاحكاً وهو يتابع: «اسمع هذا... إنهنّ يسمين الانثى فيوليتا باسم الدوقة. وبما أن ذلك الراهب الخيالي الذي بقي غامضاً قرابة المئة عام، لا اسم له، قررن هي وشقيقتاها، أن يسمينه «لويجيو» وهو تحريف للقسم الثاني من اسم. «ماريا - لويجيا؟».

ولمعت في ذهن ماكس ذكرى من البحيرة في فندق سبلينديدو، ذكرى طعنته في الصميم: غرير... اسمك رقيق مثلك. لماذا لا تخمنين ما اسمي؟ لويجيو؟

فيما كان ماكس يعبث معها، تعاملت هي معه على أنه احمق تماماً.

- إنها تقول إن أحد جدودها العظام، الدوق ألبرتو، خدم في الحرب العالمية الأولى في «فيلق الاشارة». هل أنت مستعد لتصديق هذا؟

انتقلت عينا نيك بحيرة بين لوك وماكس: «وكان يربي الحمام الزاجل كهواية وقد نقلت إحدى الحمامات رسالة أنقذت حياة مئات الجنود، فتلقت ميدالية شرف من بريطانيا العظمى. سنيوريتا بايبر تقول إن الميدالية في بيتهن بين تذكارات العائلة الاخرى».

وقال ماكس: «طلبت مني السنيوريتا غرير أن أنظر في حقيبة أختها لأجد عينات تلك التقاويم».

فقال نيك: «حقائبهن في السيارة. أتظنان ان العينات موجودة حقاً؟».

لم يتكلم أحد أو يحاول الخروج لكنهم لا يستطيعون الوقوف هنا إلى الأبد والفضول يتملكهم. كانت الساعة الرابعة صباحاً، وكانوا منهكين إلى حد بعيد.

أطلق شتيمة ثم قال أخيراً: «هيا بنا نبحث لنرى حقيقة الأمر وننتهي منه».

توجهوا إلى موقف السيارات، وكانوا الوحيدين الذين يسيرون في هذا الوقت من الليل.

فتح ماكس السيارة التي جاؤوا بها، ووجد نيك الحقيبة ففتحها.

وبعد أن قلب محتويات الحقيبة، أخرج مغلفاً كبير الحجم. وفيما شرع ابن عمته في فتحه، حبس ماكس أنفاسه. أخرج نيك ستة تقاويم فتناول لوك واحداً منها وقرأ بصوت مرتفع: «أشهر ما قاله الرجال في المرأة».

وقال نيك متشدقاً: «للنساء فقط».

أمسك ماكس بتقويم آخر وفتح الغلاف على ما يقوله شهر كانون الثاني: «الرجال كثيرون... لكن قلة هم من بإمكانهم أن يتحملوا كلفة الإنفاق عليّ».

ورأى الحمامة الانثى فيوليتا وهي تلبس ثوباً ومجوهرات والذكر لويجيو يسير في إثرها منهكاً كئيباً.

والتفت إلى ما يقوله تقويم شهر شباط: القهوة، الشوكولا، الرجال... بعض الاشياء تكون أفضل وهي غنية.

هذه المرة كانت الحمامتان جالستين في متجر أنيق للحلويات قرب «تياترو فارنيز» في «بارما» تشربان القهوة وتتناولان الشوكولا مع «البسكويت» العالمي الشهرة. كان لويجيو ينظر إليها بكآبة فيما هي تتحرش من تحت المنضدة بذكر ايطالي أنيق يضع على رأسه تاج عليه شعار الدوقية. كان هذا لا يصدّق.

أما ما يقوله شهر آذار: «لا تعاملني بشكل مختلف عما يمكن أن تعامل به الملكة».

وتوالت صور لويجيو الفقير العاجز الذي أضناه الحب وهو يفرش عباءته على الأرض لتسير عليها فيوليتا القاسية والممتعة في الوقت نفسه، وذلك أثناء زيارتها «لانغيرانو»، حيث يمكنك أن ترى النوافذ الضيقة والطويلة.

وكتب عن شهر نيسان «وراء كل امرأة ناجحة امرأة». وتحوّل فضول ماكس إلى نهم، وأخذ يتفحص كل قول باستمتاع وشوق بالغين. ووصل إلى تشرين الثاني: «جنجر روجرز فعلت كل ما فعله فريد أستير، لكنها فعلته باتجاه معاكس وحذاء عالي الكعبين».

كان لويجيو يرتدي سترة عشاء رسمية وقبعة عالية فيما لبست فيوليتا ثوباً وحذاءً عالي الكعبين وراحت ترقص باتجاه معاكس على سلم «بالازو ديلّا بيلوتا» في «بارما».

شعر وكأنما نُوّم مغناطيسياً عندما رأى ناراً ملتهبة لم يستطع تحويل بصره عنها، ثم عاد فالتفت إلى شهر كانون الاول: «الرجل يفعل ما على الرجل أن يفعله، والمرأة تفعل ما لا يستطيع أن يفعله».

سخرية هذا القول تحوّل إلى شعور غير مستحب في نفسه. وفي النهاية رأى رسماً يمثل فيوليتا الحامل مستلقية على عربة نقالة في «مستشفى توريل للطيور» في بارما، فيما استلقى لويجيو على الأرض مغمى عليه.

هذا لا يعني أن كثيرين من أهل بلده يعرفون بشأن ملجأ الطيور الذي ساعدت أسرته في تمويله. كان ماكس مقتنعاً بأن غرير وجدت العون والتشجيع من شخص من الداخل.

وكان عليه أن يعترف أيضاً بأن الحمامتين تعبّران عن الشخصية الانسانية بشكل يثير الاعجاب. هذا الابداع المذهل القائم على الحقيقة والاساطير سيلقى الاعجاب بين النساء حتى اللواتي لا يعرفن بارما او تاريخها. لكن الأقوال اللاذعة التي تترافق مع الصور خرجت من دون شك من فم غرير الجميل. لقد شعر بها هو الرجل، كلسع السوط، فمحت الابتسامة عن وجهه.

- انظر إلى الخلف.

قاطع صوت لوك الصمت فقلب ماكس تقويمه. في القسم السفلي، طالعه شكل بيضاوي كتب في وسطه «حمام دتشيس».

قال لوك بجفاء: «وجود التقاويم لا يعني أنهنَّ بريئات من هذه الجريمة. الكاذب الماهر يخلط دوماً الحقيقة بالكذب ليقنع الآخرين».

فزفر نيك: «انت على حق».

أعادوا التقاويم إلى الحقيبة، وأغلق ماكس صندوق السيارة ثم توجهوا إلى الفيلا: «حالما يصل السنيور روسي إلى مكتبه عند الصباح، سنريه القلائد. وعندما نعلم الحقيقة سنقرر ما سنفعله بخصوص الآنسات».

٧ - ثقي بي

اكتفى أشهر خبراء المجوهرات وخبير الكنوز الوطنية بإلقاء نظرة سريعة على أول قلادتين، قبل أن يعلن أنهما زائفتان. لكن ما أن التقط الثالثة حتى تملكته الإثارة.

تبادل ماكس النظرات مع نيك ولوك ثم تبعا السنيور روسي إلى الطاولة التي يعمل عليها حيث وضع القلادة تحت اشعة خاصة، وأخذ يفحصها بدقة.

أخذ يربت على القلادة، وبعد دقائق عدة قال وهو يرمي برأسه: «نعم، هذه القطعة عليها دمغة «توسللي» على الظهر. لحظة واحدة...؟».

وتناول دفتر يحتوي على صور ورسوم لمجموعة مجوهرات ماريا - لويجيا.

تصلّب جسم ماكس أكثر وهو يرى السنيور روسي يعود إلى القلادة لمزيد من التحقق.

ظهور القلادة الاصلية أثبت صدق نظريته بأن غرير وشقيقتيها جزء من مؤامرة أكبر. وهذا يعني أيضاً أن كل ما سمعه ماكس من بين شفتيها في ذلك السجن هو مجرد أكاذيب باستثناء التقاويم.

ولسبب ما، لم يستطع أن يفهم لما شعر بخيبة أمل. وعندما استرق نظرة إلى ابني عمتيه، كشف اتزانهما عن كآبة مخيفة لعلها تعكس افكاره القاتمة.

دقات ساعة الحائط الاثرية أضافت لحناً جنائزياً إلى هذا الهدوء

الغريب. وفجأة سمع ماكس صرخة غريبة من السنيور روسي الذي أخذت حيويته تزداد حيث أزاح العدسة عن عينه وهبّ واقفاً، وأخذ يحدّق فيهم وكأنهم رؤيا تمثلت أمامه: «ماذا قلتم عن طريقة عثوركم على هذه القلادة؟»

- استرجعناها من فتيات أميركيات كانت إحداهن تتزين بها عندما وصلن إلى مطار جنوى منذ يومين.

- إذن هذا يعني أن الحرفي الماهر الذي طُلب منه أن يصنع القلادة الاولى، صنع واحدة أخرى سراً.

دارت افكار ماكس وتبادل نظرات ذعر مع ابني عمتيه قبل أن يقول للسنيور روسي: «مع احترامي الكلي لك، لا بد أنك مخطئ».

هزّ الرجل رأسه بإصرار: «كلا. هذه القلادة أصلية. ما من ريب في ذلك. لكنها ليست القلادة الأصلية نفسها التي سرقت من المجموعة في المتحف. دمغة «توسللي» موجودة، لكنها أطول، تعالوا وانظروا».

وفي غضون دقائق، كان الشبان الثلاثة قد شاهدوا بما لا يقبل الجدل، وتقبّلوا فكرة وجود قلادتين حقيقيتين. وعندما تبادلوا النظرات بعجب، تبادرت إلى أذهانهم كل الاحتمالات الممكنة.

إذا لم يكن للفتيات علاقة بهذه السرقة، فهذا يعني أن ما قلنه كان صحيحاً. ولعل امتلاكهن لقلادة اصلية أخرى، سيساعد في كشف السارق الحقيقي.

قال السنيور روسي غافلاً عن ردة فعلهم: «هذا سبب عظيم للاحتفال».

- هذا خبر رائع، يا سنيور. ولكن عليك ألا تخبر أحداً.

وقال ماكس: «إلا بعد أن يُقبض على اللص، ونجد القلادة الاخرى. عندئذ يمكننا إظهار الاثنتين للناس».

- إننا واثقون من أن شخصاً على صلة وثيقة بأسرتنا يقف خلف السرقة. بفضل هذه القلادة يمكننا أن ننصب فخاً للسارق. أنا واثق من

أنه سيرغب في هذه أيضاً، لكننا نريد منك مساعدة كاملة.

فأومأ السنيور روسي: «طبعاً، طبعاً، كيف أستطيع مساعدتكم؟».

أجاب لوك: «ينبغي ألّا يعلم أحد خارج هذه الغرفة ما اكتشفناه حتى نصبح جاهزين، وهذا يعني ألّا نقول شيئاً لأحد. هل هذا واضح؟».

- نعم.

ونظر ماكس من حوله: «هل لديك مكان آمن أحفظ فيه القلادتين؟».

فتح السنيور روسي درجاً أخرج منه أكياساً من المخمل وقال: «هنا».

وضع ماكس القلادة الاصلية في كيس، والقلادتين الاخريين في كيس آخر. وبعد أن وضع الكيسين في جيبه، صافح الرجل شاكراً ثم قال: «قريباً، سنضع سارق المجوهرات خلف القضبان وستعرف حينذاك مدى امتناننا لعونك هذا».

بعد خروجهم، لم يتكلم أحد منهم حتى وصلوا إلى السيارة حيث نظر ماكس إلى ابني عمتيه: «قبل أن يقول أيّ منكما كلمة، أريد أن أخبركما عن «صندوق التوفير»».

- صندوق ماذا؟

- حسب قول السنيوريتا غرير، إنه مبلغ مالي مخصص لاصطياد زوج.

هزّ نيك رأسه: «اصطياد زوج؟».

أدرك من رد فعلهما، أن هذا الموضوع لم يُفتح أثناء تحقيقهما مع السجينتين.

- طبعاً، قد تكون هذه إحدى أكاذيبها، ولكن بعد أن رأيت التقاويم لم أعد واثقاً تماماً. أتريدان أن تحصلا على بعض المتعة قبل أن نعود إلى أعمال الأسرة الأكثر جداً؟

كانت غرير تحاول أن تقاوم لئلا تصاب بالجنون، حين دخل عليها

حارس جديد: «صباح الخير، يا آنسة. هل استمتعت بغدائك؟».

- هذا أفضل خبز لتكسير الاسنان حاولت أن آكله في حياتي. أنا متلهفة لمعرفة ما ستقدمونه لنا على العشاء.

فقال وهو يفتح باب الزنزانة: «لن يدوم هذا طويلاً. سيراك الضابط الآن».

- ما أجمل هذا منه!

تبعت الحارس إلى آخر الممّر ومن ثم إلى مكتب الضابط الذي وقف حالما رآها: «تفضلي وارتاحي، يا آنسة».

فنظرت إلى ساعتها: «إنني جالسة على سريري منذ أكثر من ست عشرة ساعة الآن، ولهذا أفضل الوقوف. شكراً».

فبسط كفيه: «كما تشائين».

ذكّرها حين بسط كفيه برجل آخر، رجل عرفته، رجل لا تريد أن تراه أو تفكر فيه مرة أخرى. وقالت: «طلبت أن أجري اتصالاً بالمحامي».

- لن يكون هذا ضرورياً. تبيّن أن القلادة نسخة عن القلادة الضائعة. أنا آسف لاحتجازك خطأ. كان مساعد قبطان المركب بكسيوني قلقاً جداً عليك، وبقي على اتصال دائم. وحالما أخبرته أنك لم تعودي متهمة تسلّم طاقم المركب شقيقتيك.

كلا لا لا لا لا . . .

كل ما تعرفه هو أن أوليفيا وبايبر اختطفتا. كانت لا تزال تعتقد أن طاقم المركب لصوص مجوهرات لم يصدقوا أن الفتيات لا يملكن نقوداً.

- إنه ينتظر في الخارج، مستعداً لأن يأخذك إلى المركب في «البريسي»، لتتابعن إجازتكنّ.

فجمدت مكانها. هذا غير ممكن!

- أحب أن أستعمل هاتفك من فضلك. لدي نقود.

- تفضلي ما دامت المخابرة محلية.

– هل بإمكاني أن أرى دليل الهاتف؟

– إذا كنت بحاجة إلى سيارة أجرة فاسمحي لي بأن آخذك إلى أي مكان تريدينه يا آنسة غرير.

جاء من خلفها هذا الصوت العميق المألوف، فتصلب ظهرها: «لا، شكراً».

وبقيت تواجه الضابط: «دليل الهاتف من فضلك».

فقاطعها عدوها: «لكنني أصر على ذلك».

بعد ليلة لم تعرف فيها النوم، وقطع من الخبز والقليل من الماء، من دون حمام او تغيير ملابسها، فقدت غرير صبرها فاستدارت على عقبيها لترى ساخطة ذلك التمثال الرائع الأسود الشعر، وهو يبدو حليقاً مرتدياً ملابس أنيقة تبرز صدره العارم وساقيه الصلبتين، ما زاد من هياجها وسخطها: «أفضلّ البقاء هنا في السجن على الركوب معك».

وسارت خارجة من المكتب حيث رأت الحارس فأشارت إليه: «أيمكنك أن تفتح لي الباب من فضلك لأعود إلى زنزانتي؟».

فابتسم لها باستعلاء: «لقد أطلق سراحك، يا آنسة».

– سأدفع لك أجراً إذا سجنتني مرة أخرى.

ومدت يدها إلى صدرها وأخرجت له ورقتين من فئة العشرين دولارا لتمنحه إياها.

أرجع رأسه إلى الخلف وضحك: «أنتم الاميركيون..».

وتناهى إليها صوت عميق ناعم من فوق كتفها: «إذا رضيتِ بالمجيء معي، سأمنحك ما يثبت أن بإمكانك أن تثقي بي».

كيف فعل ذلك؟ كيف استطاع ان يجعل جسدها الجائن يتجاوب مثل القطيطة رغم أنها تعلم أنه سيقتلها؟

أومأت برأسها باشمئزاز قبل ان تواجهه مرة اخرى: «لا أريد شيئاً سوى إعادة قلائدنا وجوازات سفرنا وتذاكر سفرنا. هذا وحده يمكن أن يقنعنا بأن لديك بعضاً من التهذيب. وحتى ذاك الحين..».

أخرج من جيبه ما طلبته فضلاً عن الكيس المخملي الصغير. وعندما فتحته وجدت القلائد الثلاث. كم هو ماهر! إنه يعيد إليها أغراضهن عالماً بأنها لن تتخلى قطّ عن شقيقتيها، وأنهنّ ما زلت عاجزات، وأنه هو وحده يعلم إلى أين أخذتهما عصابته.

– ماذا تقولين يا آنسة؟

– كنت أقول إنّ هذه لفتة زائفة لانها تعني أنك أخذت القلائد لتثمينها فوجدت أنك لن تحصل على أكثر من خمسين يورو ثمناً للقطعة الواحدة.

– خمسة وسبعون في السوق السوداء.

التهب وجهها احمراراً: «أكتفي بهذا القدر».

– أرجو أن يكون هذا أشبه بغصن زيتون. فلنتفق على أنّ بداية علاقتنا كانت سيئة. جئتنّ لتصطدن أزواجاً، فكانت خيبة أملكنّ محزنة. أنا وجماعتي شرعنا بصيد الكنوز، فعدنا بأيدٍ خالية. لكن بما أن السنيور «موريتي» سبق ودفع لنا أجورنا من المبلغ الذي تركه لكنّ والدكن للزواج، فلِمَ لا نبدأ من جديد؟ لا أرى ما يمنع من أن نكمل الإجازة المتبقية لكن معاً بدلاً من أن تعودي إلى «دون» في الوطن.

فقالت ساخرة: «أتعني أن ما من برنامج خفي؟ سنفعل كل ما يخطر في بالنا وبشكل طبيعي!».

وضع يده على قلبه وأجاب: «ما زلت لا تثقين بي، وهذا جرحني يا سنيورا. عندما طلبت منك أن تسبحي معي في سبلينديدو، لم ترفضي إذا كنت تذكرين».

– هذا صحيح. على أيّ حال، لو رفضت حينذاك لما قبلت بكلمة «لا» جواباً. رأيت إلى أين كانت عيناك تنظران فقد التهبتا عندما وقعتا على القلادة.

– لو قُدر لك ان تري اللهب في عينيك عندما كنت تنظرين إليّ وأنا أتجه نحوك.. شعرت كأنك ستأكلينني حياً.. ما من أمر يجعل الرجل

www.elromancia.com

مغروراً أكثر من ذلك.

- لكني فتحت الكتاب لأجد أن درجتك هي الرابعة وكنت أظنها الثامنة على الأقل.

- وقد ظننت أن القلادة تساوي مليوناً. وماذا لو دفنّا خيبة أملنا لنبقى مجرد أصدقاء طوال مدة إجازتكن؟

كان هذا فخاً.. لأن النساء لا يمكن أن يكن مجرد صديقات لبحارة المركب بكسيوني. لكن يبدو أن عليها أن تجاريه قليلاً إذا أرادت أن تعود للاجتماع بأختيها. وعندما يلتقين معاً، سيخططن للهرب من أولئك البحارة.

وقالت كاذبة: «ولماذا لا؟».

وشرعت تسير نحو المدخل الرئيسي للسجن فلحق بها وهو يقول: «لا استطيع أن أتصور مدى تلهّف الرجال لشراء تقاويمك؟».

هذا حسن! لقد بحث في حقيبة أختها إذن. وابتسمت رغم خصامها معه وقالت: «سيدهشك عدد الرجال الذين اشتروا التقويم ثأراً من النساء اللواتي رفضنهم».

سألها باسماً: «هل أرسل لك دون واحدة مؤخراً؟».

فأجابت: «إنه ليس بحاجة إلى ذلك، فشركته هي التي تطبع تقاويمنا».

- هذا الرجل المسكين تأتيه المصائب من كل ناحية. إنه يستحق الدرجة الثامنة لتمسكه بالبقاء رغم كل شيء.

- لا تشعر بكل هذا الأسف عليه إذ استطاع أن يحصل على زيادة في راتبه.

وخطت إلى الخارج حيث شمس العصر الرائعة. ما أروع الحرية بعد زنزانتها الخالية من النوافذ!

- أين سيارتك؟

فوضع نظارته على عينيه: «في الزقاق الذي بجانب السجن».

رأت عشرات السيارات الايطالية الصغيرة على جانبي الشارع حيث

المباني القديمة التي يعود تاريخها إلى مئات السنين. اتجه إلى «فيات» زرقاء اللون وأدهشها حين فتح الصندوق أولاً ثم سحب حقيبة يدها.

وضعت جواز السفر والأغراض الاخرى في الحقيبة بعد أن شكرته. وتملكها الارتياح وهي تجد المشط وأحمر الشفاه ومحفظة الأوراق المالية فيها.

- مرحباً بك. ثمة أمر واحد تعلمته عن المرأة، وهو أنها لا تشعر بالأناقة بدون أحمر الشفاه.

ساعدها على الصعود إلى المقعد الأمامي، ثم سار إلى مقعد السائق. وبينما أخذت تمشط شعرها وتضع أحمر الشفاه على شفتيها لترطيبهما، استطاع هو أن يخرج السيارة من الموقف بمناورة بارعة. كانا قد قطعا مسافة قصيرة جداً حين رأت قصراً أبيض يشمخ عالياً بين الأبنية الأخرى المدهشة فأخذ قلبها يخفق عالياً من الاثارة.

لعلها لم تزر إيطاليا من قبل لكنها قامت بما يكفي من الأبحاث لتميزه على الفور. وكانت بايبر قد رسمت صفحتين من التقويم، مستعملة القصر والحديقة كخلفية.

- بعد محنة الليلة الماضية، معظم النساء لن يكنّ مبتسمات. ماذا يدور في ذهنك سنيورا؟

- قصر «لورنو» كان المفضل عند أسلافي لقضاء الصيف. لقد أمضيت الليل في السجن على بعد مسافة قصيرة منه، وهذه أسطورة سأحكيها لأولادي ذات يوم.

- أتخططين ليكون لك أولاد يا سنيورا؟

- طبعاً. لا تفعل أنت ذلك؟ أعني ذات يوم.

- ليس أولادي، لا.

ليس أولاده؟

- آخر ما أتمنى أن افعله هو هدم القناعة التي لديك منذ الطفولة يا سنيورة. لكن عندما أخبرت أختك لوك أنكنّ من سلالة دوقة بارما، من

حفيدة كانت على علاقة براهب، فكرت في أنه من الافضل أن تعرفي الحقيقة.

التفتت إليه مقطبة: «أي حقيقة؟».

- سرت شائعة منذ سنين كثيرة عن حفيدة ماريا - لويجيا وقعت في غرام راهب وحملت منه. لكن تبين أنها كذبة سياسية تهدف إلى تشويه سمعتها لفسخ خطبتها في فرنسا.

- وكيف تعرف أموراً كهذه؟

- يمكن للوك أن يعطيك التفاصيل الكاملة. لقد عرف اسراراً كثيرة أثناء إعداده الطعام في القصور الملكية. آسف!

حدّقت في يديها وقالت: «هذا لايهم. لا أحد منا يصدق هذا كلياً، كما أن أبي لم يكن واثقاً من ذلك تماماً. ومع ذلك، إنها قصة مثيرة للغاية».

- أصبح لديك الآن سبب آخر لتكرهيني.

- أنا لا أكرهك ولا أحبك، فأنت لا تعني شيئاً لي.

- هل ترغبين في القيام بجولة في أنحاء القصر قبل ان نعود إلى المركب؟ إنه رائع للغاية.

- أنا واثقة من أنه كذلك. ولكن لا شكراً لك. أفضّل أن أحتفظ بأحلامي الخيالية كما هي.

- وهكذا، أنت تريدين الحفاظ على إرث العائلة وترك القلادة لابنتك يوماً ما؟

- نعم، ولمَ لا؟ سأطلق شائعة جديدة.

فالتفت إليها: «ماذا ستكون هذه الإشاعة؟».

- لعل صانع القلادة عشق ماريا - لويجيا سراً. لعله والد صبي أطلق عليه اسم «دوقة» تكريماً للمرأة التي لم يحصل عليها قط.

- هذه قصة شاعرية جداً. لا أدري أي واحدة من هاتين القصتين تعجبني أكثر يا سنيورا.

كانت لهجته الساخرة آخر قشة قصمت ظهر البعير. لقد كانت محقة تماماً إذ ليس لسمكة القرش مشاعر.

قال وهو يمد يده إلى المقعد الخلفي ويحضر زجاجة صودا: «خذي. ستساعدك هذه على احتمال الجوع إلى ان نصل إلى المركب».

ستكون حمقاء لو رفضتها.

- شكراً.

- أنا أعرف أنّ الاميركيين يفضلون الشراب البارد. آسف. جربي واحدة من هذه مع الشراب.

وبسحر ساحر أخرج علبة من البسكويت بالشوكولا كتلك التي رسمتها بايير في صورة ذلك التقويم.

وبعد أن ذاقتها قالت: «هذه جيدة. أنها ألذ من رقائق البطاطا. لا أستطيع أن أكتفي بواحدة منها فقط».

- رقائق البطاطا هي واحدة من اثنين أحبتهما للغاية في بلادك.

- هل سافرت إلى هناك؟

- مرات عدة.

بدا غريباً أن تفكر في أنه كان في بلادها من دون أن تعلم ذلك. وسألته: «ما هو الشيء الآخر؟».

- سيقان الاميركيات الطويلة. رأيت مرة فيلماً لبيتي غابيل وقد ذكرتني ساقاك بساقيها.

انسكب شرابها على بلوزتها القطنية. فسألها: «هل أنت بخير، يا آنسة؟».

- نعم، طبعاً.

- قريباً نصل إلى المركب حيث يمكنك أن تغسلي ثيابك.

- وحيث كل وسائل الراحة الموجودة في البيت.

- هذا صحيح، المركب هو مكاني المفضل بعد البيت.

- أين بيتك؟

- في «كولورنو». أسرتي تسكن قرب «بارما».

لا عجب في تمكّنه من رشوة الضابط!

- هل سنمر بالمكان؟

- في الضواحي فقط، مع الأسف. يجب أن أهنئك على البحث الذي قمت به عن «بارما» من أجل تقاويمك. لقد ميّزت التلميحات الخفية على الفور.

- بايبر نابغة.

- هذا صحيح، لكن الرسوم ما كانت لتبدو حية لولا التفاصيل التي اكتشفتها أنت. يبدو أن النبوغ موجود في أسرة «دتشيس».

فقالت وقد أدفأت مجاملته كيانها كله: «شكراً».

ما كان ينبغي أن تشعر بهذا وهو لص مجوهرات ولص قلوب أيضاً.

قال خارقاً الصمت: «والجمال أيضاً. رأيتك في كل الأوضاع. حتى وأنت مبللة بالماء وجائعة، وفي السجن، ومرهقة، وفي كل مرة كنت أكثر جاذبية».

ما الذي يهدف إليه الآن؟ ليس لهذا الاطراء كله ضرورة الآن. لكن كان عليها أن تعترف بأن ما ذكره جعل من الصعب عليها أن تتنفس بشكل طبيعي.

- لوك يحضّر مأدبة للترحيب بعودتك وعودة شقيقتيك وأعترف بأنني أتطلع إلى ذلك بشوق. لم يجد أي منا وقتاً بعد تلك الاحداث المثيرة مع الشرطة والساعات الطويلة في انتظار تحريركنّ.

طبعاً لا، فقد كانوا مشغولين جداً بالبحث عن شارٍ للقلادات.

لن تصدّق كلمة مما يقول حتى ترى شقيقتيها الحبيبتين وقد عادتا إلى المركب. عندما تتأكد بنفسها من أنهما سالمتان بعد تلك الليلة الشنيعة في السجن، ستتمكن من التنفس بشكل طبيعي.

مضت السيارة تدور حول التلال والمنعطفات، والقرى الصغيرة القديمة والمزارع. ولولا قلقها على أختيها لاستمتعت بتلك المناظر

الخلابة. قال: «ما دام العشاء لن يُقدّم قبل ساعات، فأرى أن نتوقف هنا لنأكل».

ودهشت وهي ترى ما يشبه المقصف في حقل. رأت أكشاكاً ملونة وحولها مئات الاشخاص يتحدثون ويأكلون.

- ماذا يحدث هنا؟

- إننا في «فيرا دي بارما».

- «فيرا»؟

- نعم، معرض الارض.

أوقف سيارته قبل أن يتابع كلامه: «أنت محظوظة لرؤية معرض العاصمة الايطالية الشهير «طعام الوادي». لقد تحررت من السجن في الوقت المناسب لتستمتعي «بمعرض الطعام الدولي» الذي يقام كل سنتين. تعالي معي».

واشتمّت رائحة لاذعة فأخبرها أنها رائحة الكمأة وهي الطعام المحلي الشهي.

كانت غرير قد تجاوزت مرحلة الجوع البالغ منذ بعض الوقت ولم تعد بحاجة إلى الاستعجال عندما انخرطا بين الجموع ليتذوقا هذه المعروضات الهشية.

أطعمها من كل نوع: شرائح الخبز الايطالي مع الجبن وزيت الزيتون، وشرائح اللحم المقدد الرقيق التي تذوب في الفم.

وبين الحين والآخر كان يضع في فمها حبة زيتون خضراء أو سوداء. وكأن كل هذا لا يكفي، فأحضر لها آيس كريم ومزيداً من البسكويت.

لكن، وعدا عن الطعام، تملكتها الإثارة وهي تشعر بذراعه حول خصرها وبأصابعه تحت فمها وعيناه السوداوان تتأملان وجهها وهو ينتظر ردّ فعلها على ما تأكله.

هذا الغريب الغامض الذي أغواها بلمسات ناعمة، وابتسامة سريعة وضحكة عميقة، سحرها بشكل عجيب وجعلها تثور للظلم الذي جعلها

تعود إلى السيارة. . . إلى الواقع المؤلم.

ساد الصمت وهما يتجهان إلى الساحل حيث المياه المتألقة تعكس سماء صافية الزرقة. كان المركب «بكسيوني» يرسو بعيداً عن قوارب الصيد القليلة في حوض السفن الصغير في ميناء «ليريسي». فاختطفت غرير حقيبة يدها وركضت أمام الرجل الذي ما زالت لا تثق به ولن تثق به.

- بايبر، أوليفيا؟

لن تطأ المركب الا بعد أن تجيبا النداء. لكن الجواب الوحيد الذي تلقته هو القبطان الذي خرج من قمرته واضعاً نظارات الشمس وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة عريضة يُفترض أن يدفع غرامة على جاذبيتها غير العادية.

- مساء الخير، يا آنسة. مرحباً بعودتك. أنا ولوك أحضرنا شقيقتيك من السجن منذ عدة ساعات. الآنسة أوليفيا تعاني من الصداع وقد أعلتا انهما ذاهبتان إلى الفراش رأساً ولا تريدان أي إزعاج.

لا. أوليفيا لا تعاني أبداً من الصداع.

- أثبت ذلك!

فهمس الرجل الذي خلفها: «لحظة واحدة. سأطلب منهما أن تخرجا إلى السطح وبهذا تعلمين أنهما سالمتان».

- غرير!

وبدا فجأة رأسان أشقران عند قمة السلم.

٨ - أخطر من سمكة قرش

الحمدلله!

قفزت غرير على متن المركب ثم ركضت إلى أختيها. نزلنَ جميعاً إلى الأسفل حيث غرفة الجلوس فأقفلت بايبر الباب، ثم تعانقنَ جميعاً.

ألقت أوليفيا عليها نظرة واحدة ثم قالت: «اللطخ تغطيك كلياً. ماذا حدث في زنزانتك في السجن؟».

- دعي عنك هذا، ستتحدث في ما بعد.

ورفعت حقيبة يدها: «القلائد هنا. أعادها ماكس إلينا مع جوازات السفر والتذاكر. كما أنه أطعمني بشكل ملوكي».

- ولوك قدم لنا غداءً اسطورياً بعد أن أعادانا إلى المركب.

- كانا ظريفين بشكل استثنائي.

- حسناً، نعم. كلنا نعرف السبب أليس كذلك؟ لقد وجدوا أن مجوهراتنا لا تساوي شيئاً ليزعجوا أنفسهم بها، وهم الآن على استعداد لكي يمتعونا بقية أيام الاجازة.

فتمتمت بايبر: «أنت على حق».

أومأت أوليفيا: «فكروا في أنهم إذا أطعمونا واهتموا بنا ستنضج للقطف بعد غياب الشمس».

حدّقت غرير فيهما: «أرى أن نذهب إلى جنوى الآن».

- أحسنت. فلتحمل كل واحدة منا حقيبة ملابسها ولنخرج من هنا قبل ان ينطلق المركب.

كانت غرير هي أول من خرج. وكادت تصطدم بماكس لولا أن

www.elromancia.com

قبض على أعلى ذراعيها بقوة.

- إلى اين؟ ظننتك تريدين أن تغتسلي وترتاحي بعد محنتك في «كولورنو»؟

ارتفع أنفها الدوقي الشامخ وردّت: «لا أريد أن أرتاح».

- كنت قادماً لأسأل شقيقتيك إن كانتا تريدان تناول الحلوى الآن. طلب مني لوك أن أخبرهما أنه أعد قالب حلوى لهما خصيصاً.

وصمت لحظة ثم اضاف: «ثمة شوكولا على فمك».

ومسح الشوكولا بإصبعه ثم تذوقه فذكرتها هذه الحركة الحميمية بكل ما تشاركاه في المعرض. احمرت وجنتاها وقالت من دون تفكير: «لقد انسجمنا معاً أكثر مما يلزم. ألا تظن ذلك؟».

صمتت ثم تابعت: «ونحن الآن ذاهبات».

- ماذا ستفعلن؟

- هذا شأننا. أرجو أن تفسح لنا الطريق من فضلك.

- لن أفعل إلا بعد أن تخبريني إلى أين انتن ذاهبات.

- أنا أعرف إلى أين نحن ذاهبات.

بدت على فمه المغري ابتسامة متعالية، فاستعدت لتلقي ضربة تلقي بها أرضاً! لكنها فوجئت به يتراجع إلى الخلف لكي تمرّ وتبعتها الفتاتان إلى الردّهة ثم صعوداً إلى سطح المركب وهنّ يحملن حقائبهنّ.

رأت لوك يفك الحبال فسرت رجفة في قدميها وساقيها، وتنبّهت إلى أن القبطان أدار المحركات ومن دون تردد ركضت صاعدة الدرجات ثم سارت على السطح تتبعها بايبر وأوليفيا.

تقدّم منهن مساعد القبطان الذي امتزج جمال رجوليته بجرأة سرت في كيانها. وإذ لم تستطع أن تكبح غضبها أكثر صرخت في وجهه: «هكذا... كنت ستبحر بنا بعد كل ما فعلتم؟ حتى من دون أي سؤال؟».

اخترقتها نظراته الحادة ما جعلها ترتجف بعد أن تلاشى تحكمها

بنفسها. وكرهت ذلك الشعور.

- كنا نسير وفقاً لمسار رحلتكن حرفياً، أول توقف لنا هذه الليلة هو في مونتيروسو.

- كان يُفترض بنا أن نذهب إلى هناك الليلة الماضية لكن الأمور سارت بشكل مختلف. ولهذا، غيرنا رأينا بالنسبة إلى متابعة هذه الرحلة.

- هذا ما اراه، اسمعن، لن يمر أيّ قطار في «ليريسي» قبل ساعتين على الاقل. وحتى حينذاك، قد لا تجدن أماكن لكنّ ما سيضطركن للانتظار حتى الرابعة صباحاً.

قال لوك: «ماكس على حق؟».

وكان هذا قد جاء مع القبطان ليقفا على السطح بجانب رفيقهما في الجرم.

- هذا أمر خطر جداً بالنسبة إلى فتيات جميلات غير متزوجات. غداً سيتم الاحتفال بمنح «الجائزة الكبرى». والمواصلات من السوء بحيث يتعذر الحصول على سيارة أجرة.

- كل الغرف في الفنادق على طول الساحل محجوزة لشهور. أخبرننا بوجهتكنّ فنأخذكنّ إليها مع كل وسائل الراحة على هذا المركب ومن دون انتظار او مشاحنات.

وأضاف ماكس وهو يحدق في غرير: «سأحاول أن أعوّض عن خيبة الأمل التي سببتها لك أثناء حديثنا في السيارة».

فانفجرت قائلة: «أي خيبة امل تلك؟ كان هناك الكثير».

- عندما أخبرتك بأن ليس في عروقك دم إيطالي أدركت أنني حطمت لك حلماً.

فقال القبطان: «ماكس محق. اسم. «دتشيس» جاء من الكلمة الفرنسية. «دتشيس» التي تعني نوعاً من الكمثرى».

فانفجرت تقول بحرارة: «أحقاً؟ قبطاننا المتخصص في علم الأنساب أصبح الآن متخصصاً في علم أصول الكلمات».

فرد بابتسامة متحدية: «نعم، يا آنسة. لقد غيروا حروف الاسم حين وصلوا إلى أميركا».

وأوما لوك: «أرى أن قصة الراهب الذي أحب حفيدة ماريا - لويجيا ومنحها صبياً مجرد اختلاق. نعلم ان هذا الخبر مؤلم، يا آنسات».

لم يشح مساعد القبطان بنظره عن عيني غرير: «بدلاً من ذلك أخبريني كيف يمكنني أن أخفف من خيبة الامل».

فقالت من دون تمهيد: «أرى أننا نحن الستة، كذبنا. لكن إذا كنتم صادقين هذه المرة، فأعطونا مفاتيح سيارتكم لنتمكن من الذهاب بها إلى المطار».

سألها بنعومة: «أتريدين العودة إلى وطنك من دون أن تستمتعي بإجازتك؟».

- هذا شأننا وحدنا. سنترك لكم السيارة في موقف مطار جنوى. ويمكنك أن تأخذ المفاتيح من الاستعلامات.

- لماذا تريدين أن تعودي الآن بعد أن ابتدأنا نعرف بعضنا البعض؟

- إنني أعرف كل ما أريد أن أعرفه.

وكان الشرر يتطاير الآن من عيني غرير: «لا شك في أن بإمكانك أن تتدبر أمرك جيداً بدون سيارتك مدة ثلاث أو اربع ساعات يا سنيور».

هزّ كتفيه بشكل أظهر رجولة جسده ما جذب نظرها إليه، وقال: «تفضلي يا غرير، سنساعدكن بالنسبة إلى السيارة».

وقبل أن تجيب، كان الرجال الثلاثة يحملون حقائبهنّ ويسيرون نحو موقف السيارات خلف حوض رسوّ السفن.

ألقت شقيقتاها عليها نظرة تعني أنهما لا تثقان بهؤلاء الرجال فبادلتهما غرير النظرة. جرت الأمور بسهولة فائقة. لا بد من وجود خطب ما. إنها تشعر بذلك في أعماقها.

عندما وصلن إلى السيارة، كان الرجال قد وضعوا الحقائب في الصندوق فصعدن إليها، رافضات أيّ مساعدة منهم. وناول ماكس

غرير المفاتيح قائلاً: «سفراً سعيداً يا آنسات».

فقالت الفتيات معاً: «وداعاً».

عندما خرجت أوليفيا بالسيارة من الموقف، مارة بالرجال الثلاثة الباسمين، اشتبكت نظرات غرير بعينين سوداوين ملتهبتين.

حرك شفتيه من دون أن يصدر أي صوت: «وداعاً يا جميلة».

وأخذ العرق في عنقها ينبض مرة أخرى. عندما وصلن إلى الطريق العام، قالت: «لا بأس، يا بنات. الأمور تسير بشكل حسن حتى الآن، لكن شيئاً ما يحدثني بأننا سنصادف مشاكل في مطار جنوى».

التفتت بايبر إليها: «أنت محقة، سينّبه البحارة شركاءهم في المطار كي ينتظرونا. سيقولون إننا سرقنا القلائد وستعود تلك القصة الطويلة المشوشة مرة أخرى، ولا يدهشني إذا ما أرسلوا صديقاً لهم ليتعقبنا الآن».

- ولا أنا. هل رأيت ابتساماتهن الخداعة ونحن نبتعد؟

- إنهم، في أعماقهم، غاضبون للغاية بعد أن ظهر أن القلائد مزيّفة.

- لن يدعونا وشأننا.

- لقد حان الوقت لاستدعاء الدعم.

قالت بايبر: «أخبرني توم أن بإمكانهم ان يسافروا على متن طائرة عسكرية متى شاؤوا».

فقالت غرير بحذر: «لكن ثمة مشكلة واحدة هنا. إذا أرسلنا نطلب الشباب، فسنكون كمن يقول لهم إننا نريدهم حقاً».

تمتمت أوليفيا بكآبة: «ربما علينا ان نتبع نصيحة والدينا ونحاول ان نقع في الغرام ولو من باب التغيير».

وبعد دقيقة قالت بايبر: «يمكننا أن نعتبر هذا وكأنه الامتحان الأخير. إذا تمكن الشباب من الوصول إلى هنا في الغد، فسنمضي معهم بقية إجازتنا على المركب «بكسيوني». وفي النهاية، سوف...».

أكملت غرير قول أختها: «سوف نموت من الملل».

www.elromancia.com

وافقتها أوليفيا: «هذا صحيح، لكن علينا «ألا نجعلهم يعرفون هذا».

ابتدأت غرير تبتسم ثم استقامت في جلستها: «أنت محقة، ماكس غير واثق مما إذا كان ثمة «دون» في حياتي أم لا. وسيجمد حتى الموت إذا ظهر رجل بهذا الاسم على ظهر المركب».

فقالت بايبر ضاحكة: «خصوصاً بقصة شعرهم العسكرية والإرهاق الذي يتملكهم. إن تصرفاتهم فظة للغاية بحيث تجعل البحارة يفرّون».

فقالت أوليفيا: «أحب ذلك، لكنني أظنكما تعلمان أن علينا أن ندفع للسنيور «موريتي» مزيداً من النقود إذا تمكنا من المجيء».

صرخت غرير: «إذ لم تقرري اي طريق تسلكين، فسنبقى هنا تسعة أيام أخرى مع ثلاثة شبان عابثين ينوون العبث بأي شكل كان».

- فلنكن جادات هنا يا بنات، سنعود إلى الوطن وبالتالي إلى حياتنا الطبيعية. يمكننا ان نتصل بوولتر كارلسن ونطلب منه أن يتدخل في المطار.

فقالت أوليفيا: «فكرة حسنة. أرى مطعماً أمامي، يمكننا ان نتوقف هناك ونتصل به هاتفياً».

عندما وصلنَ إلى موقف السيارات، قالت غرير: «عليكن بالبقاء هنا يا بنات، لانني لا أجرؤ على ترك السيارة خالية. سأتحدث إلى السيد كارلسن. الساعة في كينغستون الآن هي السابعة والنصف صباحاً، ولا أظنه خرج إلى عمله بعد».

- نرجو أن تكوني على صواب.

وسرعان ما أشار إليها صاحب المطعم بأن تستخدم الهاتف.

- غرير؟

- مرحباً سيد كارلسن. آسفة لازعاجك لكن الامر هام جداً.

- سمعت أنكنَّ أدخلتنَّ السجن خطأ. أنا آسف جداً يا عزيزتي.

فأجفلت: «كيف عرفت؟».

- عندما أعطيتِ اسمي لضابط الشرطة اتصل بمحامي أسرة بارما - بوربون الذي اتصل بي ليتحقق من شخصياتكن. وقد تحدثنا طويلاً عن خلفياتكن وعن القلائد التي منحها لكن والدكن. وبعد أن شرح لي مسألة اختلاط الأمر بالنسبة إلى قلادة مسروقة من متحف الدوقية، أكد لي انه سيفرج عنكنَّ في الحال.

- ليت ضابط الشرطة أخبرني بأنه اتصل بك!

- لدى الايطاليين جهاز بالغ الكفاءة وإن لم يبد لك الأمر بهذا الشكل حينذاك.

وكادت تضحك. فسألها: «هل أنتنَّ بخير الآن؟».

- في الواقع، نحن لسنا كذلك.

وأخبرته بمشاكلهنَّ مع بحارة المركب بكسيوني وختمت كلامها قائلة: «أنا واثقة من أن لديهم شريك في المطار وأخشى أن يمنعونا من الصعود على متن الطائرة لنعود إلى الوطن».

- لا تخافي يا غرير. كل ما عليك أن تفعليه هو أن تخبري ضابط الامن أنك من تريدين الاتصال بي. مجرد ذكر اسمي سيحل المشكلة.

- شكراً، يا سيد كارلسن.

- أهلاً بك عزيزتي. وكما أخبرتك في مكتبي، لم يخلق الله النساء ليعشنَ بمفردهنَّ. محامي اسرة بارما - بوربون وافقني على ذلك.

وراحت غرير تعد حتى عشرين.

- ربما بعد كل ما حدث، ستصدقينني. وكما قلت لك، إذا واجهت أي صعوبة فاتصلي بي.

كانت على وشك أن تخبره بأن الشرطة لن تسمح لها بالاتصال بأحد، لكن في هذا إضاعة لطاقتها. وكانت من الغضب بحيث لم تستطع التفكير، فكيف بالكلام؟

- نعم، سأفعل. شكراً.

وبعد أن وضعت السماعة، عادت إلى السيارة.

ألقت على أوليفيا نظرة ذات معنى: «أتذكرين مقولتي: لا تزعجيني».

- ماذا قال؟

- للأسف أصبحنا وحدنا يا بنات.

فصرخت أوليفيا: «أتعنين أنه لا يستطيع ان يساعدنا؟».

- قال إن كل ما علينا ان نفعله هو أن نطلب من ضابط الأمن أن يتصل به إذا واجهنا مشكلة.

- هذا أكيد.

وتنهدت بايبر باستسلام فيما عادت غرير إلى مقعدها: «كما قلت، اصبحنا وحدنا. لكنني سأخبركما بكل ما تحدثنا به ونحن في طريقنا إلى المطار».

* * *

- شرفتنا بحضورك، يا سنيور دي فارانو.

- شكراً يا سنيور غالي.

- أي خدمة؟

باستثناء تزلفه الذي ضايقه، لم يبدُ على الرجل الآخر أنه فوجئ او توتر لزيارة ماكس غير المتوقعة إلى المطار.

- الآنسات الاميركيات الثلاث اللاتي احتجزتهن منذ يومين وصلن لتوهنَّ إلى موقف السيارات في المطار في سيارة فيات زرقاء.

رفع السنيور غالي حاجبيه بدهشة: «ظننتهنَّ موقوفات لدى مفوض الشرطة في كولورنو».

- ربما غُلب على أمره وسمح لهن بالرحيل.

ضاقت عينا الرجل: «ما كان ذلك ليحدث وأنا المسؤول».

قال ماكس بلهجة ساخرة: «أنا واثق من ذلك، ولهذا جئت لأستعين بك».

- أنا رهن أمرك.

- لدي سبب يجعلني أعتقد أن إحدى الاميركيات الثلاث تحاول أن

تأخذ القلادة الأصلية إلى خارج البلاد.

- أتعني أنها قلادة مختلفة عن القلادات الثلاث التي كنَّ يضعنها عند وصولهنَّ؟

- أعتقد أنهنَّ يعملن في خدمة الشخص الذي سرق مجموعة مجوهرات ماريا - لويجيا.

- أتعني أنهن لبسن قلادات زائفة عند حضورهن إلى هنا، ثم أخذن القلادة الحقيقية ليلبسنها عند العودة؟

- نعم.

- هذه مهارة فائقة.

- أنت ماهر جداً يا سنيور غالي. لديك حسّ يخدمك في مهنتك.

احمر وجه الرجل سروراً فيما أضاف ماكس: «على أي حال، يجب أن أحصل على برهان».

- طبعاً يا سنيور، حالما يصلنَ إلى الباب الخارجي سيحضرهنَّ رجالي إلى هنا. مكتبي في خدمتك.

إذا كان السنيور غالي يمثل دوراً فهو يجيده إذ بدا بريئاً تماماً.

- شكراً... أرسل إليّ الفتاة ذات العينين بلون الخزامى أولاً.

ومن دون أن يضيّع لحظة واحدة، دخل ماكس إلى المكتب الخالي. وعندما أغلق الباب خلفه، أخرج هاتفه الخلوي وطلب نيك ليسأله: «أين هنَّ الآن؟».

- إنهنَّ يخرجنَ حقائبهنَّ. لم أر قط نساء بهذا العزم من قبل.

كانت الشقيقات الثلاث عنيدات للغاية.

- سيسرك أن تعلم أن رجال غالي جاهزون وفي الانتظار.

- ما هو الانطباع الذي تركه في نفسك؟

- قد أكون مخطئاً لكنني لا أظنه متورطاً. رغبته في تقديم العون تبدو جادة وغير زائفة لكن لا يمكننا أن نكون واثقين من ذلك.

- هذا صحيح. انتظر في السيارة.

- هذا حسن. انتظرنا بعد حوالى ثلث ساعة..

وأثناء الانتظار، اتصل بلوك الذي كان على المركب بكسيوني: «كيف حال ساقك؟».

- اشتريت مسكناً للألم. كيف حال الآنسات الجميلات؟

- حسب قول نيك، عنيدات كالعادة.

وفيما كان الرجلان يضحكان، سمع صوت خطوات أمام الباب فقال: «آسف لقطع الحديث لكن عصفورات سجننا الجميلات دخلن لتوهنّ».

- لا بأس.

وضع السماعة ثم انتظر بلهفة ليرى الصدمة على وجه غرير عندما تجده في الغرفة. لكن بدلاً من فتح الباب، سمع صوتاً أنثوياً مألوفاً يقول: «افتح، افتح الباب يا سنيور ماكس، واخرج. اخرج من حيث أنت».

فتح الباب لتقع عيناه على عينين بنفسجيتين تتألقان في أشعة الشمس. لكن الابتسامة الساخرة على فمها الجميل كانت آخر ما توقعه لتظلم الدنيا في عينيه غضباً.

- آسفة إذا أفسدت مفاجأتك. أظن أن الرجل الغامض كشف لونه الحقيقي منذ وقت طويل.

- كفى، يا آنسة. أنت لا تعرفين إلى من تتحدثين.

وكان هذا السنيور غالي الذي أسرع ليدافع عن ماكس، مقتنعاً بأنه يؤدي واجبه.

وأجابت غرير: «طبعاً أنا أعرف إلى من أتكلم. لعلي لا أعرف اسمه الحقيقي يا سنيور، لكنني أعرفه تماماً. إنه سمكة قرش لا تنفك تعض قدمي منذ اقترفت تلك الغلطة الشنيعة فسبحت معه في المياه. لا شيء يسره أكثر من اللهو بضحيته فترة قصيرة أولاً».

تملك ماكس توتر بالغ: «حذار يا سنيورا غرير، ما زال لسانك

اللاذع هو هو».

ونظر إلى السنيور غالي: «شكراً. سأتعامل معها بنفسي».

فقالت لهجة لاذعة: «تتعامل؟ لا مزيد من الألاعيب. افعل اسوأ ما يمكنك، ثم دعنا نعود إلى بلادنا».

ابتسم سروراً وهو يراها تفقد شيئاً من جمودها: «أنا مسرور لأنك أدركت أنه لا يمكنك الهرب. سنيور غالي، هل لك أن تطلب من بعض الرجال مرافقة الآنستين الأخريين إلى آخر المطار مع حقائبهما وسأرافق أنا السنيورا غرير بنفسي».

ومن دون انتظار أيّ جواب منها، حمل حقيبتها وأمسك بمرفقها يقودها إلى القاعة فنفضت يده عن يدها وكأنها أحرقتها وسارت أمامه ما منحه فرصة لمراقبة ساقيها الرائعتين. كانت لا تزال ترتدي التنورة الوردية اللون والبلوزة اللتين كانت ترتديهما عندما قفزت من على سطح المركب الليلة الماضية، لكنها بقيت تسير بدلال الانثى المذهل.

وصلت أختاها أولاً إلى السيارة. وبعد أن ساعدهما نيك على الصعود في المقعد الخلفي، وضع رجال الأمن الحقائب في الصندوق. وفتح ماكس الباب الأمامي لحمامته ذات الكبرياء ثم دار حول السيارة ليصعد إلى معقد القيادة.

كان الصمت ملموساً اثناء الرحلة بالسيارة إلى ميناء جنوى. ومن وقت إلى آخر كان ماكس يرى ضحكة نيك في المرآة. وأدار الراديو على المحطة التي تذيع كثيراً من الأغاني الايطالية والانكليزية. وحالما سمع أغنية قديمة كلاسيكية لدين مارتن، أخذ يغني معه.

قالت المرأة الجالسة بجانبه: «آه... أرجوك..».

ثم انفجرت ضاحكة من دون أن تستطيع التحكم في نفسها فاستهواه هذا.

لقد استهوته.

- سأحاول أن أجد مزيداً من الحيل لأجعلك تضحكين بهذا الشكل

يا غرير.

- سمكة قرش تتكلم لغتين وتغني من دون لحن. بخست من قدرك، يا سنيور. من الأفضل أن تسمع امرأة ضاحكة وليس باكية، أليس كذلك؟

- لا أتمنى أن أجعلك تبكين أبداً.

- ما الذي تتمناه يا سنيور؟

- أن أساعدك وأخواتك على الاستمتاع ببقية إجازتكن.

- لا بل تريدنا ان نساعدك على الاستمتاع بإجازتك. اعترف بهذا.

نزل هو ونيك من السيارة وساعدا ضيفاتهما على الانتقال إلى الرصيف.

- أعترف بأن ما من شيء يسرّنا أكثر من قضاء تسعة أيام أخرى برفقتكنّ. لكنك مخطئة في افتراضك أننا في إجازة.

وقفت وذراعاها على جنبيها، غير راغبة في التقدّم خطوة واحدة نحو المركب «بكسيوني». : «هذا صحيح. رجال الامن يجاهدون لكي يعثروا على نساء ثريات من أجلكم، وأنت تجاهد لتحررهنّ من المجوهرات غير الضرورية. وعندما تتعب من تلك الوسيلة، تجاهد لكي تغويهنّ. لقد نسيت».

- لقد جرحتني مرة أخيرة، يا حلوتي.

التفت إليه فطالعه جمال فمها المثير: «هذه كذبة أخرى. لا أرى أيّ أثر لذلك».

- الجروح العميقة خفيّة. لكننا نبتعد عن الموضوع.

- ثمة موضوع إذن؟

- ظاهراً، أنا ولوك ونيك مذنبون.

- أخبرنا بشيء آخر لا نعرفه.

- بكل سرور يا غرير. نحن نعمل في الخفاء للعثور على الشخص او الأشخاص الذين سرقوا مجموعة مجوهرات ماريا - لويجيا من قصر «كولورنو». إنها من أكبر كنوز إيطاليا، ويجري البحث عنها بالتعاون مع

المخابرات الاميركية وسكوتلانديارد، والانتربول وأكبر محققي إيطاليا. ربما يمكنك الآن أن تتصوري أن وصولكنّ إلى جنوى وأنتن تضعن قلادات مماثلة لقلادة الدوقة أثار انتباه الجميع وليس السنيور غالي فقط. مئات الرجال عملوا على هذه القضية منذ أكثر من عام. ولو أن رجال الامن الاميركيين قاموا بواجبهم قبل أن تغادرن مطار كينيدي، لما سُمح لكن بصعود طائرتكنّ. ولا حاجة للقول إنّ تدخلهم كان ليسعفكنّ من كل ما عانيتنّ منه في الساعات الثماني والأربعين الاخيرة.

«على أيّ حال، إهمال الاميركيين أسدى إلينا معروفاً لا يقدّر. ورغم أنكنّ خرجتنّ بريئات، وأصبحتنّ حرات في السفر، كما عرفت حين تحدثت إلى محاميك من المطعم، قدّمت إلينا عن غير عمد معلومات ثمينة عن لص المجوهرات. نحن نريد أن تبقي في إيطاليا مدة تكفي لتساعدينا على نصب فخ له... أو لهم، اياً كانوا...

«التعاون ليس مفروضاً عليك طبعاً، حتى أن قيامك بذلك قد يشكل خطراً عليك، رغم أننا سنقوم بكل ما في وسعنا لنحميك. أما إذا كان جوابك الرفض فسأعيدك إلى المطار حالياً وأرسلك إلى نيويورك فوراً. أما إذا كان ردك بالايجاب فسننزل لتناول العشاء ثم نناقش خطتنا».

وشمل بنظراته الفتيات الثلاث: «القرار لكنّ يا آنسات».

نظرت غرير إلى شقيقتيها وهي لا تدري ماذا تصدق. وأخيراً، ألقت على مساعد القبطان نظرة ارتياب أخرى وسألت: «لِمَ لم تقل هذا كله في المطار أمام المسؤول؟».

- لعل السنيور غالي أحد رجال الأمن الفاسدين. نحن لا نعرف بمن علينا أن نثق، ادعينا أننا طاقم المركب «بكسيوني».

فقالت بخشونة: «أعلم أن ما من أحد منكم في المكان المناسب له».

وتدخلت بايبر: «أنت لست قبطاناً!».

- ومع ذلك، فقد عملت طويلاً في السفن.

وقالت أوليفيا تخاطب من يدعى لوك: «وأنت لست طاهياً».

- إذا أبرزتم لنا أوراقكم الثبوتية فلن نعرف أبداً ما إذا كانت مزورة. هل السنيور «موريتي» رئيسك؟

ضاقت عينا مساعد القبطان قليلاً: «لا بل هو صديق شخصي. لقد أعارنا السيارة».

- والمركب؟

- نعم.

- فعل ذلك طبعاً، كل شخص لديه صديق يملك مركباً يساوي حوالى مليون دولار، وهو يعطيك إياه كلما طلبته منه.

- أنت ترين الكثير من الافلام الاميركية، يا غرير.

فقالت بجدة: «كلا. أمي كانت كذلك».

فاصرت بايبر: «ما زلنا نريد أن نرى هوياتكم».

ومن دون تردد، أخرج الرجال محافظهم ثم داروا بها عليهنّ. كانت غرير لا تزال تحدّق في سمكة القرش عندما ناولتها أوليفيا الأولى «نيكولاس دي باسترانا، ماربيلا، أسبانيا. عينان بنيتان. العمر أربعة وثلاثون عاماً» وصورة فوتوغرافية رائعة.

وجاء التالي: «لوسيان دي فالكون. موناكو فيل. موناكو. شعر أسود. عينان رماديتان. العمر ثلاث وثلاثون سنة» صورة رائعة أخرى.

ارتجفت يد غرير عندما ناولتها أوليفيا المحفظة الثالثة: «ماكسيمليانو دي فارونا. كولورنو. إيطاليا. ماكسيمليانو... هيه؟ العمر أربعة وثلاثون عاماً» ما من صورة يمكن أن تخطف الانفاس مثل صورته الحقيقية.

الأسماء في أوروبا مضللة. لعلها لا تعني شيئاً سوى أنه ابن فلان وفلان، أو قد تكون دلالة على أنه يتحدر من اسرة هامة.

لا شك في أن هؤلاء الرجال غير العاديين اختاروا أسماءهم الزائفة لسبب ما. ثمة أمر هي وأختاها لن تعرفاه ابداً. رفعت رأسها وناولته محفظته: «ما زلت لا أصدق كلمة واحدة مما تقولون».

فعض شفته السفلى: «هل ينفع أن أخبرك بأنني المستشار الأول لاسرة بارما - بوربون؟».

- أتعني أنك الرجل الذي تحدث طويلا مع محامي أبي؟ وأنك الرجل الذي سعى لإخراجنا من السجن؟

وأطلقت ضحكة غاضبة قبل أن تردف: «وهل ينفع إذا أخبرتك أن بايبر هي حقاً دوقة «فازالا»؟، وأوليفيا هي حقاً دوقة «بياستزا»؟ وأنا حقاً «دوقة بارما»؟

- هيا، يا غرير. فلندع المزاح جانباً!

www.elromancia.com

٩ - سباح ماهر

- أنت تعرفين من أكون.

خفقت بأهدابها بمبالغة: «أحقاً أعرف؟».

- اعترفت بذلك في السجن.

- أحقاً فعلت ذلك؟

- نعم، فعلت يا آنسة. أخبرنا ماكس عن صندوق التوفير وكل شيء فلا فائدة من الإنكار.

وأومأ نيك: «التقاويم هي البرهان يا آنسة. وبدقة أكبر مشهد متجر الحلويات في بارما».

- أتعني عندما لم تشأ فيوليتا ان تعطي لويجيو القليل من البسكويت بالشوكولا. وما دخل هذا في ما يجري؟

فتدخل مساعد القبطان قائلاً: «لم يكونا الشخصيتين الوحيدتين في تلك الصورة. ثمة شخصية ثالثة مميزة هي شعار دوقية كورونا».

- آه ذاك... إنه وحسب الطاووس المحلي المغرور الذي يختال في المدينة محاولاً أن يؤثر في الكل بلقب أسرته... إنه رمز الرجل الايطالي المعتد بنفسه. لو تأملت الصورة جيداً، لرأيت أنّ فيوليتا تعبث معه وحسب لكي تثير غيرة لويجيو. أنها تحب لويجيو حقاً الذي يعاني من مأساة خاصة يحتفظ بها لنفسه ولا يشارك بها الآخرين، وقد صممت هي على أن تعرف كنه تلك المأساة. كانت، في أعماقها، معجبة بتواضعه لكننا عدنا فخرجنا عن الموضوع.

- إنها قصة أخرى مؤثرة يا غرير. أستغرب أنك لست كاتبة.

واضاف ماكس بعنف غريب وهو يقترب منها: «لكنك محقة. لقد خرجنا عن موضوع الاسئلة. أتريدين أن تقولي إنك لم تعترفي باستعمالك أموال التوفير تلك لكي تصطادي زوجاً؟».

- بل أعترف بذلك، لكنني ما زلت لا أعرف من أنت.

- أتعنين أنك اخترتني فقط من بين مجموعة من المرشحين؟

- ربما فعلت ذلك لو أنك بقيت معروضاً كعازب. بالنسبة إلى رجل بقي على القمة ثلاث عشرة سنة، ما زلت جيداً.

لم تعد يداه مشتبكتين أمامه، بل قبضتا على جانبيه: «على القمة؟».

- نعم، بعد الواحدة والعشرين يبدأ الرجال بالانحدار لكنك ما زلت محتفظاً بشبابك رغم بعض الشعر الابيض في صدغيك. على أيّ حال، ما أردت أن أقوله قبل أن تقاطعني هو أني شاهدت سمكة قرش في بحيرة سبلينديدو، وكانت دهشتي بالغة حين اكتشفت أن لتلك السمكة ساقين سارت عليهما متجهة نحوي. إذا كنت تتذكر، انتظرت حتى دعوتني كي أسبح معك.

- إذن، ما تقولينه هو أنك متلهفة للحصول على زوج وأردت ان تتبعي أول رجل يقترب منك من دون أن تعرفي شيئاً عنه؟ لا اسمه ولا خلفياته؟

رفعت حاجبيها: «... انت تتحدث كأبي بالضبط. لن يدهشني إذا وجدت أنك زيّفت عمرك كما زيّفت اسمك على رخصة السوق. هل أنت واثق من أن ليس لديك ابنة تخفيها في مكان ما؟».

وعادت تقول أول ما تبادر إلى ذهنها: «أدركت أنك سابح ماهر، فهل يعجبك هذا؟».

فتدخلت بايبر قائلة: «هذا مهم بالنسبة إلى غرير».

وقالت أوليفيا: «وهو ما جعل «دون» يقنعها بالخروج معه في البداية».

- يا بنات... السنيور ماكسيميليانو لا يريد أن يسمع عن حياتي

الغرامية أكثر ما أحب أنا أن أسمع عن حياته.

قال ساخراً: «أنت تعترفين إذن أن الرجل الذي على القمة ما زال بإمكانه أن تكون له حياة غرامية؟».

فقالت: «طبعاً، وأنت قد حدثتني عن حياتك. وهذا هو الأمر الوحيد الذي قلته وقدّرته من كل قلبي».

التوت شفتاه فجأة: «متى أخبرتك عنها؟».

- إذا كان ممكناً ان نسلخ أنفسنا من موضوع حياتك العاطفية الملتهبة، فأود أن أعرف كيف فكرت في هذا الاسم المحيّر لنفسك. إنه اسم غريب حقاً. أعني، إذا كان هناك حقاً من يُدعى ماكسيمليانو ويدّعي أنه دون او ما شابه، يجول في أنحاء بارما، هل على الكل أن يناديه باسمه الكامل؟

وأدهشها أن ينفجر الرجال الثلاثة ضاحكين إلى حد أسال الدمع من أعينهم.

وعندما عاد الهدوء، قال: «هذا حسن جداً، يا غرير. من الواضح أننا وصلنا إلى طريق مسدود. توصلنا في قضية داتشيس ضد فارانو إلى ان الثقة مفقودة في كلا جانبي الاطلسي».

- هذا قول ينم عن ذكاء يا سنيور. ما كنت أنا نفسي لاقول أحسن منه.

وانحنى شاكراً بشكل أرستقراطي أدهشها أن يبدو غريزياً، ثم قال: «بعد العلم والقبول بذلك الواقع، أحب أن أتقدم بطلب عقد اتفاق بيننا».

- اطلب يا سنيور.

- سنقبض حقاً على لص المجوهرات.

- يمكنني أن أصدق هذا. مجموعة المجوهرات إذا وقعت بين يديك فلن تجعلك بثراء مونت كريستو في وجود نيك ولوك اللذين يمثلان كونت كابالكونتي وشركاءه. لكن سيكون لديك، على الأقل، ما يكفي لتسديد

الضرائب عن كل المال الذي كسبته بطرق غير شرعية.

فاتسعت ابتسامته: «هذا حسن، إننا نتقدم».

- أحقاً، ما أجمل هذا.

فقال بلهفة وعيناه مركزتان على فمها: «تعالي معنا إلى موناكو على متن المركب. ثمة مجموعة من الأشخاص الذين نعتبرهم مشبوهين سيشاركون في الاحتفال. وبعونك، قد نتمكن من كشفهم».

وقال القبطان: «إننا نريد عونك».

فقالت بايبر: «لا سبيل إلى ذلك. ما نعرفه هو أننا سننتهي تحت رحمة بعض حكام منغوليا. غرير على حق، ستبيعوننا في أول فرصة سانحة لتكسبوا المال».

فتدخل لوك قائلاً وهو ينظر إلى أوليفيا: «إذن، لدي اقتراح آخر. بما أنك سائقة ممتازة، خذي شقيقتيك إلى موناكو في السيارة. ونحن سنبحر بالمركب إلى ميناء «هيركول» ونجتمع بكم في شقتي. وهكذا، لن تخفن من أن نكون قد خطفناكنّ إلى ساحل بعيد حيث لن يراكنّ ويسمع بكنّ أحد. عليّ أن أعترف بأن تلك ستكون مأساة فظيعة».

ألقت غرير نظرة واحدة على أختها لتدرك أن العرض أغراها. منذ سنوات وهي تحلم برؤية احتفال «الجائزة الكبرى» في سباق السيارات.

وعاد ماكس يقول: «إنها خطة جيدة، يا آنسات. امنحننا هذه الليلة وغداً، ثم نضعكنّ في طائرة تأخذكنّ إلى الوطن من «نيس»».

فقالت غرير: «ماذا علينا ان نفعل بالضبط؟».

- أن تكنّ نفس النساء اللاتي كنتهنّ عندما جئتنّ إلى الريفييرا. سنقدمكن بصفتكنّ دوقات كينغستون. هذا اللقب الانكليزي مات لكن معظم الناس لا يعرفون هذا، فلا تغيرنّ حرفاً من قصتكنّ.

والتهبت عيناه كنار سوداء، ما ذكرها بأول مرة رأته فيها في البحيرة: «البسي إحدى تلك الأثواب الرقيقة الفضفاضة التي علقتها لك في خزانتك».

كادت ساقاها ترتجفان من تأثير لهجته ونظرته الشهوانيتين وقالت: «وقلادة الدوقة طبعاً».

- طبعاً.

- وماذا لديك من خطط أخرى لنا؟

هزّ كتفيه وأجاب: «كل ما يريده قلبك. عشاء خاص ورقص في ساحة قصر مغطى بالنبات المتعرش. بعدئذ، سنسبح في بحيرات تفصلها الصخور عن البحر».

اقشعّر جسد غرير فيما تألقت عينا أوليفيا الزرقاوان: «بدلاً من السباحة، أفضّل أن أذهب إلى نادٍ يقيم فيه كبار السائقين احتفالاً فنأخذ تواقيعهم».

- يمكن ترتيب الأمر يا آنسة أوليفيا.

وسأل نيك بايبر: «وماذا عنك يا آنسة؟».

- أفضّل أن أنام باكراً ثم أستيقظ عند الفجر لاجول في الانحاء وأضع رسوماً تخطيطية لفكرة في ذهني عن تقويم جديد.

- سأجهز طعاماً لنزهة خلوية وسأطعمك بنفسي بينما انت ترسمين.

- إنما بدون زيتون... سواء أكان أسبانياً ام غير ذلك.

أرجع رأسه إلى الخلف وضحك: «أعد بذلك. شوكولا ومعجنات. أنا ايضاً مدمن على الشوكولا».

ولأول مرة، لم تنظر شقيقتا غرير إليها.

إنهن يستسلمنَ، لكن من يلومهنَّ؟

وسألت لوك: «أين شقتك بالضبط يا سنيور لوك؟».

- سأرسم لكنَّ خريطة.

وتوجّه بسرعة إلى حيث أحضر قلماً وورقة.

تخيّلت غرير إلى أين يمكن أن تقودهنَّ خريطته الشيطانية. ربما إلى القصر المنعزل حيث كان «إدموند دانتي» المسكين مسجوناً.

وتدخل الغريب الاسمر قائلاً: «لا تقلقي يا غرير! ليس عليكنَّ أن

تذهبنَ في السيارة إلى أبعد من مارسيليا. على أيّ حال، ذلك القصر أصبح الآن متحفاً».

إنه يقرأ افكارها.

ناول لوك أوليفيا الورقة. ونظرت غرير إلى ماكس بابتسامة متكلفة، فارتسمت على شفتيه مرة أخرى ابتسامته الأخاذة: «ربما تجدين كنزك الأبدي هنا».

فضاقت عيناها: «ثمة ذكر لكنز دوماً، أليس كذلك يا سنيور؟».

واستدارت على عقبيها: «ها بنا يا بنات، فلنذهب».

حملت حقيبتها نحو موقف السيارات. وعندما وصلت إلى السيارة، كانت شقيقتاها قد انضمتا إليها، ففتحت أوليفيا الصندوق ووضعت الحقائب فيه.

عندما انطلقت بهنَّ السيارة، سألتها بايبر: «هل انت غاضبة منا؟».

- لا.

فاصرت أوليفيا: «بل أنت كذلك».

- ربما قليلاً، لكن بعد أن فاجأتماني أعانق ماكس في غرفة الجلوس، لا يحق لي أن أتكلم.

- حتى لو كانوا مجموعة كذابين، إلا أننا نحن ايضاً لم نقل الحقيقة حين ادعينا أننا دوقات حقيقيات. لن يكون هناك اي ضرر في ما لو بحثنا عن شقة لوك، واستمتعنا قليلاً قبل أن نعود إلى الوطن.

فقالت غرير متذمرة: «هيا، يا أوليفيا، هل تظنين حقاً أنهم سيوصلوننا إلى المطار قبل نهاية الأيام التسعة؟ إذا كنت تظنين ذلك فلدي في صندوق مجوهراتي قلادة ثمنها مليون دولاراً يمكنني أن أبيعها بمليونين إذا وجدت الشاري المناسب».

فصرخت بايبر: «غرير.. ماذا حدث لك؟».

- لا شيء.

وأومأت أوليفيا بإصرار: «بل تغيّرت. تغيّرت منذ الليلة التي قفزت

بها إلى بحيرة السباحة مع ماكسيميليانو. لنواجه الأمر، لقد وجدت أخيراً رجلاً أيقظ رغباتك المكبوتة كلها، وأنت غاضبة الآن لأنه الرجل الوحيد في العالم الذي لا تعرفين إن كان بإمكانك أن تثقي به. والأسوأ أنك، بعد أن نعود إلى الوطن، ستعلمين أن ما من رجل آخر سيجعلك تختبرين المشاعر نفسها مرة اخرى».

وحدّقت فيها شقيقتاها بذلك الإشفاق الذي لم تستطع أن تحتمله فقالت: «لا أشعر بالسوء إلى هذا الحد».

- بل أنت كذلك.

- بالنسبة إلى شخص تختلط عليه الاتجاهات اثناء القيادة، كانت مهارة بالغة منك أن تلاحظي أمس أننا نبحر في الاتجاه المعكس.

- نحن نعلم كم تحبين أن نزور جزيرة «إلبا» و«مونت كريستو».

تنفست غرير بعمق: «وأنا أعلم مقدار تلهفكما لأن تخبرا توم وفريدريك أنكما تزلجتما على الماء في إيطاليا والريفييرا الاسبانية».

- نعم.

- عندما نعود إلى الوطن سنذهب مع الشباب لنمارس التزلج على الماء كالعادة.

- سيكون ذلك متعة.

- هذا أكيد، نهر هدسون ريفييرا.

- إنه آمن على الاقل.

- نعم.

- شبابنا لا يأتون بأي مفاجأة. إنهم يتزلجون وحسب.

- إنهم لا يحاولون الادّعاء بما ليس فيهم.

- لانهم لا يعرفون كيف.

- لا.

- ويتكلمون لغة واحدة.

- الفوتبول.

- «فريدريك» يكره الطعام الايطالي. إنه يقول إن زيت الزيتون يحمله على الغثيان.

- وأراهن على أن «دون» لم يسمع ابداً بزيت الزيتون الاسباني.

- لا.

- إنهم ظرفاء.

- نعم.

- ومملون.

- نعم.

وهم يبحثون عن زوجات.

قالت غرير: «وبحارة بكسيوني يبحثون عن امرأة لليلة واحدة. انا لا أقبل مثلا بالإذعان إذا لم أكن أعلم شيئاً عن ماكسيميليانو، حتى لو كان هذا هو اسمه الحقيقي، ولعله ليس اسمه».

فقالت أوليفيا: «لكنك تعلمين أن ثمة تجاذب بينكما. وهذا أمر لا يستطيع أي منكما تزييفه او إنكاره».

- هل عليّ إذن أن استجيب؟

- ليس تماماً. لكن يمكنك الاحتيال عليه لتستخلصي منه عرضاً. فإذا ظفرت بذلك، لن تضطري لأن تعيدي مبلغ الخمسة آلاف دولار بعد أن تعودي إلى الوطن.

- هل هذا ما ستفعلينه مع لوك؟

- إنني أفكر في الامر. بإمكاني دوماً ان أنزع منه العصا وأضربه بها إذا حاول التحرّش بي.

فتمتمت بايبر: «ليسوا بحاجة لأن يتحرشوا بالنساء بل على العكس. ولعلهم شذوا عن القاعدة حين طاردوننا. لكنني أعرف أن هذه البهجة المؤقتة لن تدوم. ما أن ندعهم يمسكون بنا بما يكفي لاستحصال على طلب زواج حتى يهربوا منا بسرعة بحيث لا نضطر لأن نكون نحن من يلقي بهم».

www.elromancia.com

فقالت أوليفيا: «لدى بايبر وجهة نظر. قبل أن نغادر كينغستون، أنت من ذكّرنا بأن علينا أن نحاول جهدنا للعثور على زوج يا غرير. واعلمي اني أفضّل أن أتعشى وأشرب في الاربع وعشرين ساعة القادمة على أن أضطر إلى العودة إلى الوطن وأبذل جهدي لأجمع خمسة آلاف دولار فقط لأعيدها إلى السيد كارلسن».

حدّقت غرير في الخارج من دون أن ترى ثم قالت: «السيد كارلسن رجل غبي. أتصدقين أنه صدق حقاً كل تلك المعلومات عن أن محامياً لاسرة «بارما - بوربون» أطلق سراحنا؟».

- ومع ذلك، فهو محامي والدنا، ووالدنا اشترط عليه أن يُستعمل المال كما أملى عليه.

وقطّبت غرير وهي ترى أختيها تقرران الاستمرار في خطتهنّ الأساسية.

- هل خطر في بالكن أن البحارة قد يبحرون عند غروب الشمس ولا يعودون أبداً.

فأجابت الاثنتين معاً: «لا».

- لا بأس، لكنني لا أريد صراخاً إذا اكتشفنا أنهم ينتظروننا في حانة سيئة السمعة مواجهة للبحر حيث يجالسون فتيات رخيصات في الطابق العلوي.

- غرير!

- لا تكوني حساسة إلى هذا الحد، يا أوليفيا.

ومرة أخرى وجدن أنفسهن يقدن السيارة في ضواحي جنوى. وبعد ان استعلمن، رأين متجراً لأدوات الرياضة فدخلن إليه.

- سنبتاع أرخص ما لديهم ونأخذه معنا إلى الوطن.

وبعد أن اشترين خوذات وقفازات وزجاجات ماء ملأنها بمياه معدنية، كانت كل واحدة منهنّ قد أنفقت ٩٠٠ دولاراً. وكان البائع مسروراً للغاية بهذه الصفقة فسمح لهنّ باستعمال حمام المتجر لكي يغيرن

سراويلهن بأخرى نظيفة.

ساعدنَ بعضهن البعض في لبس قلائدهنّ ثم وضعن جوازات سفرهنّ في جيوبهنّ وتذاكر السفر ومحافظ النقود، ليصبحن جاهزات. تركت أوليفيا السيارة أمام منزل في زقاق مسدود، ووضعت المفتاح تحت ممسحة الارجل أمام الباب الامامي.

لم تذرف غرير دمعة واحدة على ملابسهنّ ومتاعهنّ الموضوعة في الصندوق.

بعد أن درسنَ الخريطة، قدرّن أنّ بإمكانهنّ أن يصلنّ إلى مدينة «الكسندريا» مع حلول الليل حيث يمكنهن ركوب الطائرة من سويسرا إلى الوطن.

لم يمرّ رجل بهنّ من دون أن يحاول أن يتحدث إليهنّ ويلقي إليهنّ بالقبلات، ولا بد أنهنّ سمعنَ كلمة «حلوة» بالايطالية للمرة الألف.

من الواضح أن ماكسيميليانو كان يتصرف على غرار مواطنيه، فلماذا لا تبتسم وتتخلص بالضحك من اهتمامه بها، كما تفعل الآن مع كل الغرباء على طول الطريق؟

في منتصف الطريق إلى وجهتهنّ، فرغ إطار عجلة بايبر من الهواء، فأخرجت الأدوات اللازمة لإصلاح العجلة. عندئذ، ابتدأ الازعاج، لم يتبقَ رجل إلا وتوقف ليساعدهن.

اجتمع من حولهنّ ما يعادل الخمسة عشرة رجلاً ما بين فتى ورجل مسن فأعاقوا المرور، وزاد على ذلك شاحنة مليئة بالرجال.

قُدّمت لهن عروض مختلفة بالايطالية طبعاً، لكن غرير لم تكن بحاجة إلى مترجم لتفهم المعنى.

وفجأة، إذا بغرير ترى ماكس بقامته الطويلة الرائعة، يتقدم نحوها بخطواته الواسعة يرافقه لوك ونيك.

وتحدّث فجأة بالايطالية بلهجة تهديد فإذا بالجموع تتفرق، وتبتعد فيما أخذ قلبها يدق بعنف. حمل دراجتها بيد واحدة وهو يقول: «ما كان

ينبغي للوك أن يرسم لك الخريطة».

– كانت تلك الخريطة ممتازة بدقتها، وبإمكان اي صبي ان يستعملها. على أيّ حال، رأينا أن السباق الكبير لا يستحق كل تلك الأهمية، وتساءلنا لما لا نذهب إلى سويسرا بدلاً من ذلك لكي نتفادى ذلك الزحام؟

فقال بصوته المخملي المنخفض: «ما دامت هذه هي المرة الأولى التي تزرن فيها أوروبا، فأنتنّ لا تعرفن أنكنّ لا يمكن أن تذهبنَ إلى أي مكان من دون ان تتسببن بزحام».

– أريد أن تعيد إليّ الدراجة.

وكان قد توجه نحو السيارة حاملاً الدراجة فأجاب: «كل شيء في الوقت المناسب».

– ليس لديك الحق في أن تلحق بنا وتصادر وسائل نقلنا.

عندما التهبت عيناه لكلامها هذا، شعرت بنفس السلطة والتهديد اللذين اخافا ذلك الحشد وجعل أولئك الفلاحين المساكين يتفرقون هاربين.

– إن أمنكنّ ليس فقط من أولوياتنا، بل من مسؤولياتنا نحو «فابيو موريتي» الذي أعارنا مركبه وسيارته لأعمالنا السرية. لا يمكنكن أن تتخلين عن الحذر فستقابلن رجالاً عديمي الخلق لا يترددون في أخذ ما يريدونه، بل اسوأ... قد يصبح «فابيو». هو المسؤول عن وضع ليس ذنبه. منذ موت والديه، وهو يزاول عملاً محترماً. لديه أخوان وزوجة وولداً، وولد آخر في الطريق، وكلهم يعتمدون عليه في معيشتهم.

لم تتراجع بل قالت: «إياك أن تجرؤ على إلقاء ذنب هذه الرحلة علينا. وما أدرانا بأنك لست عديم الخلق مثل الرجال الذين تتحدث عنهم؟».

– أنتنّ لا تعلمنَ. ولكن يمكنني أن أؤكد لكنّ أننا لو كنا من أولائك الرجال لأخذناكن من المطار إلى القاضي في محكمة جنوى ليحتجزكن في السجن شهوراً في انتظار المحاكمة.

من هو هذا الرجل؟ وتابع وعيناه تخترقان عينيها: «عندما رأيت امرأة لها مثل هذه البشرة والعينان، وهذا الجسم الرائع الجمال، وهذا الذكاء المتوقّد، لكن من دون رقة الانثى، أصابتني صدمة وخيبة أمل يا سنيورا غرير، لم أعرف مثلها حتى الآن..».

دهشت غرير لعمق الجرح الذي أحدثه قوله هذا في كيانها، وربما في أعماق روحها. وسألته بفتور: «إلى اين ستأخذنا؟».

– إلى «فرنازا» حيث توقعن على وثيقة رسمية أمام شهود تعفي «فابيو موريتي» من أي مسؤولية أو التزام. عندئذ، يعاد إليكنّ مبلغ المال الذي قمتن بدفعه نقداً، بصرف النظر عن انه سيعاني من الخسارة. لكن هذه ليست مشكلتك، أليس كذلك؟ ستكونين حرة في أن تتجولي في أنحاء أوروبا كلها إذا شئت».

وسرعان ما كانوا في طريقهم عائدين إلى جنوى ثم إلى المركب بكسيوني. لم تستغرق رحلة العودة، سوى خمس وعشرين دقيقة.

وحاول الرجلان أن يجعلا شقيقتي غرير تتحدثان وتضحكان وكأن الوضع طبيعي وعادي، لكن ماكس بقي صامتاً. وأغضبها أن يضع كل اللوم في جدار الغضب وعدم الثقة هذا الذي نشأ بينهما عليها هي وحدها.

لكن عندما وصلا إلى المركب، أخذ الخوف من أن يكون ما قاله عن السنيور «موريتي» صحيحاً يعذب ضميرها.

قالت بعد أن جلسنَ جميعاً في غرفة الجلوس التي ابتدأت تشعر نحوها بالإلفة وكأنها بيتها الثاني: «علينا أن نتحدث يا بنات».

بعد أن روت لهما الحديث المرّ الذي دار بينها وبين ماكس، قالت بايبر: «لست واثقة مما هو صحيح وما هو غير ذلك. لكنني أعلم أمراً واحداً، وهو أن لا أحد من أولئك الرجال الذين توقفوا ليساعدونا في إصلاح عجلاتنا، قام بذلك من باب الشهامة فقط».

فتمتمت أوليفيا: «فلنعترف بأننا شعرنا بالارتياح عندما رأينا البحارة

قادمين، وتبدد فزعنا».

أومأت بايبر: «مع البحارة، تشعرين بالخوف من أنك بدأت تصدقين ما يقولونه».

وافقتها أوليفيا الرأي: «تعنين أن كلامهم يعجبك، أما عن رجال الشاحنة، فما تشعرين به هو مجرد الفزع».

كانت شقيقتا غرير قد وضعتا الاصبع على الجرح فأغاظتاها وذلك منذ تلك الليلة حين طلب منها ماكس ان تسبح معه. كان بإمكانه أن يتصرف كأولئك الرجال تماماً لكنه تركها تذهب. كان يعلم مدى ضعفها الليلة الماضية جسدياً وعاطفياً لكنه لم يستغل وضعها ذاك.

وخطر لها أن تصرفاته ليست تصرفات حيوان حقير متوحش يفترس امرأة عاجزة بل تصرفات رجل يبحث عن اسئلة مصمماً على العثور عليها.

ورغم أن غرير لا تعرف من يكون، أو ما هو عمله، إلا أن اقترابه منها هذا المساء على الطريق أوضح الوضع كله.

سواءً أكان لص مجوهرات أم لا، فالاغواء آخر ما في ذهنه. وحدها القلادة جمعت بينهما.

لو صحّ كلامهم عن قلادة اخرى مثل القلادة التي أهداها لهنَّ أبوها، وسرقت مع المجوهرات الاخرى التي لا تُقدّر بثمن فلا عجب في أن تُقرع أجراس الانذار عندما وصلت مع شقيقتيها إلى المطار وهنَّ يضعن تلك القلادة «بالجملة».

عندئذ، أصبحت غرير جاهزة لتصدق أنه عندما ينجز هؤلاء عملهم في موناكو، سيضعونها وشقيقتيها في طائرة تقلهنَّ إلى الوطن.

نبهتها حركة مألوفة تحت قدميها إلى انطلاق المركب، فهتفت: «سأعود حالاً يا بنات».

ودهشت شقيقتاها وهما تريانها تندفع خارجة من الغرفة إلى الردهة ومن ثم إلى سطح المركب.

جنوى، السيدة المشرفة على البحر المتوسط تراجعت في الظلام الذي كان احتوى الشاطئ وتمكنت غرير من أن تميّز جسم لوك الذي يلف حبلاً.

التفتت لترى ماكس يتفحص التفاصيل. لم يظهر عليه أنه شعر بوجودها إلا بعد أن اصبحت على مسافة قريبة منه. عندئذ، رفع رأسه وتشابكت نظراتهما.

كان غضبه قد تبدّد وحلّ مكانه تحفظ بالغ، تحفظ يمكن أن يبديه تجاه أي غريب وليس المرأة التي كان يعانقها منذ يومين بعاطفة جياشة.

كان عليها أن تشعر بالارتياح فهذا ما تريده. ومع ذلك شعرت بفمها جافاً بشكل غريب، وقلبها أشبه بطائرة بمحرك واحد فقدت توازنها فاندفعت بعنف نحو الارض.

– مهما كان ما تريدين قوله يا سنيورا فقوليه للقبطان. إنه قائد المركب وليس أنا.

– لكنه يصغي إلى مساعده فأرجو أن تخبره أننا سنمضي الساعات القليلة التالية في تحويل أنفسنا إلى «دوقات كينغستون». لقد قررنا ان يكون دخولنا إلى موناكو مذهلاً، حتى أنك ستتساءل عما إذا كنت مخطئاً حين اعتبرت أنّ ما من قطرة دم ملكي واحدة في عروقنا.

www.elromancia.com

١٠ - فرار غريب

هتفت أوليفيا بصوت مثقل بالمشاعر: «انظرن يا بنات. انظرن إلى ذلك المشهد».

كان ذلك حقاً مشهداً مذهلاً. قصر ملكي يتألق أشبه بنجم معلق على شجرة عيد الميلاد.

من شرفة فيلا رائعة تطل على الشارع حيث سيقام سباق السيارات في اليوم التالي، أخذت غرير وشقيقتاها يمتعن أعينهن بالنظر إلى قصور جميلة وقديمة وآلاف المنازل ذات سطوح القرميد الاحمر.

وامتد مرفأ موناكو الاسطوري أمامهن يتألق بأضواء أعداد لا تحصى من الزوارق البيضاء الصغيرة واليخوت الكبيرة.

حبست بايبر أنفاسها: «أنا أنظر وأنظر وما زلت لا أصدق ما أرى وأشتم من شذا الازهار المنتشرة في كل مكان. ياسمين. ورد. لافندر..».

إنها دنيا الاحلام، فكل ما فيها رائع. ومع ذلك، كانت هذه الفيلا التي تعود إلى القرن التاسع عشر والمسماة «وكر الصقور»، حقيقية بشكل يحبس الانفاس.

وكزت أوليفيا غرير وهي تسألها: «ما رأيك في مركب لوك المهلهل الطافي على المياه الآن؟».

- يبدو أن لديه أصدقاء في أمكنة راقية.

- أشعر وكأننا في حلم رائع.

ابتسمت غرير لاختيها. كانت تسير في أنحاء الغرفة الفاخرة الأثاث

وعيناها تماثلان أعينهما لمعاناً.

- لو أمكن لأمنا أن ترانا في ملابسنا البيضاء هذه والقلادات في أعناقنا، لقالت هذا بالضبط.

حدّقت بايبر في غرير: «نبدو متشابهات جداً هذا المساء. أما كانت أمنا لتحب ذلك؟ كانت تتوسل إلينا دوماً كي نلبس ثياباً متشابهة في المناسبات العائلية».

ودمعت عينا أوليفيا وتبعتها غرير وبايبر. وكن ما زلن كذلك حين سمعن طرقاً على الباب الخارجي.

اعتقدت غرير بأن الطارق هي الخادمة فسارت لتفتح الباب غير مستعدة للمفاجأة التي تنتظرها.

كانت مفاجأة القرن من دون شك. يمكن لماكس أن يربح الجائزة بسهولة.

ولعله سمع الآهة التي أفلتت من حلقها لكنها لم تستطع أن تمنعها. في ملابس السهرة السوداء والبيضاء بدا هذا الايطالي الطويل الاسود الشعر ذو الملامح الوسيمة رائعاً ما جعلها تقف خرساء ترتجف.

تأملتها عيناه السوداوان بإعجاب الرجل. ومع ذلك، كان اللهب الذي اعتادت أن تراه في عينيه عندما ينظر إليها مفقوداً او لعله خامد.

لم يعجب غرير تأثيره فيها ووجدته سخيفاً، فهذا الرجل لا يعني لها شيئاً.

غداً مساءاً ستحمل الطائرة غرير إلى النصف الآخر من الكون، وحظهما في أن يتقابلا مرة أخرى، ولو للحظة واحدة غير ممكن.

- مساء الخير يا سنيورا، بعد خمس دقائق نريدك أنت وأختيك أن تنزلن إلى الردهة حيث يوجد غرفة استقبال إلى اليمين. سنعرفكن إلى مجموعة من الناس.

- وماذا لو ارتكبنا خطأ ما؟

- لن تخطئي ما دمت تتصرفين على طبيعتك وهذا ما تجيدينه تماماً.

هذا التعليق اللاذع هدف إلى التجريح.

- عندما يحين وقت انسحاب الزائرين سأعتذر، ثم نغادر معاً نحن الاثنين. عندئذ، سأقول لك تصبحين على خير.

ارتجفت غرير وهي تشعر بأنه ما زال غاضباً منها للغاية، بينما تابع كلامه: «أما بالنسبة إليك يا آنسة، فأنت جميلة بشكل غير عادي هذه الليلة. وما دمت قد أديت ما عليك برقة فيوليتا نفسها، فسنتركك وحدك لتفعلي ما تريدين. سيارة الليموزين تحت تصرفك. أخبري الخادمة فقط وهي ستعدّها».

بعد أن أغلق الباب في وجه غرير، همست أوليفيا: «لقد سمعنا كلامه. أنا أسحب ما قلته من قبل فهو مخيف أكثر من أي رجل عرفته».

استدارت غرير وقالت: «لم يحصل على ما يريد بمجرد أن رفع إصبعه، فثارت ثائرته وأصيب بنوبة غضب إيطالية».

- أظنك مثله غضباً الآن، وهذا برهان على أن في عروقنا دماً إيطالياً بالرغم مما قالوه تشكيكاً وسخرية بنا.

- شكراً، يا أوليفيا.

- لا تغضبي مني فنحن نعلم أنك خائبة الامل.

- بالنسبة إلى ماذا؟

قالت بايبر: «لأنه ينوي أن يتركك وحدك بعد أن نلعب دورنا في الطابق السفلي».

فقالت غرير: «لا يهمني هذا مثقال ذرة».

- هذا ليس ما تقوله عيناك.

التفتت غرير إلى أوليفيا سألتها: «ظننت أن لوك رتّب الأمر بحيث تزورين نادياً لتتعرفي على بعض سائقي سيارات السباق؟».

- هذا مستحيل الآن.

- لماذا؟

- عندما أخبرته أن «سيزار فيلون» هو السائق الوحيد في السباق

الذي يهمني التعرف إليه، أراد أن يعرف السبب. سألته لماذا تهتم بذلك فلم يجب، لكن مزاجه ساء كلياً.

- يبدو أنه غيور مثل «فريد».

- لا، إنه فقط فرنسي أناني مغرور، يظن أنه محور العالم.

وقالت بايبر بإصرار: «القبطان المصاب بعقدة التفوق وصاحب السلطة المطلقة يظن أنه سيمضي صباح الغد معي كي يؤثر فيّ. إنه يقول إنني الأميركية الوحيد التي عرفها والتي يمكنها ان تتحدث معه على مستوى الذكاء نفسه. حسناً، أتعلمين ماذا؟ هذه الاميركية التافهة الذكاء قررت ألا تذهب إلى اي مكان معه في الصباح او أي وقت آخر».

فقالت غرير: «لن تقولي هذا بعد أن تمضي معه خمس دقائق أخرى. على أيّ حال، حان وقت النزول إلى الطابق السفلي لنقوم بما علينا ان نقوم به».

سرن في الفيلا، شاعرات وكأنهنّ في قصر. رأين رجلاً رائعاً بملابس المساء الانيقة، ينتظر عند اسفل السلم، عندما ابتسم لهنّ أدركت غرير انه صاحب «البكسيوني».

- مساء الخير، يا آنسات. كنتن جميلات من قبل أما الليلة فقد حبس جمالكن أنفاسي.

فقالت غرير: «أنت نفسك تبدو وسيماً للغاية، يا سيد «موريتي».

قدوم هذا الرجل إلى هنا يعني الكثير.

- عندما اضطر الشخص الذي حجز المركب «بكسيوني» إلى إلغاء الحجز كان يوماً سعيداً بالنسبة إليكن، أليس كذلك؟

فأجابت غرير وهي تصرف بأسنانها: «كان ذلك حدث الدهر».

- أنا سعيد جداً لسماع هذا. هل ندخل؟ سأقدمكن إلى بعض الضيوف.

وفتح باباً مزخرفاً يمتد من الأرض إلى السقف، وخفقت غرير بأهدابها. بعض الضيوف؟ رأت ما يقارب السبعين شخصاً في ملابس

رائعة يجتمعون بشكل مجموعات في أنحاء غرفة الاستقبال.

- «فابيو».

وإذا بامرأة شقراء جذابة ترتدي ثوباً رائعاً برتقالي اللون، تندفع راكضة مع زوجها الوسيم لتقبل السنيور «موريتي» على الخدين.

كان الرجل الآخر الذي بدا أنه زوجها أطول منه وقد خط الشيب شعره الأبيض ما جعله مميزاً. بدا الاثنان في أوائل الستينات.

وابتدأ الثلاثة يتحدثون بالايطالية، ما جعل غرير تعتقد أنهم اصدقاء حميمون لم يلتقوا منذ فترة.

وقال فابيو: «رين، أمبرتو؟ أود أن أعرفكما إلى ثلاث أخوات استأجرن «بكسيوني» ليأتين إلى هنا. وعندما عرفت من هنّ، صممت على إبقاء ذلك مفاجأة حتى الليلة».

- إنهن متشابهات كثيراً لكن عيونهن مختلفة.

وابتسمت لهن المرأة بحرارة وهي تتأملهن مع الرجل الآخر. وسرعان ما التمعت عيناها وهي ترى القلادة في عنق غرير ثم أطلقت صيحة جعلت زوجها يضع ذراعه حول كتفيها.

وساد الصمت في القاعة.

قال «فابيو» وهو يقهقه: «لا يا رينا، لا تدعا القلق والاضطراب يتملكانكما. أقدم إليكما غرير وبابير وأوليفيا؟ إنهنّ دوقات كينغستون من أسرة بارما بوربون الملكية. وهنّ متلهفات إلى التعرف إلى أسرتهن التي فقدنها منذ وقت طويل».

سرت موجة من الاهتمام بين هذا الحشد بينما تابع يقول: «وبسبب سرقة مجموعة مجوهرات ماريا - لويجيا، تعرضت الآنسات للمضايقة في المطار عندما وصلن وهن يضعن قلادات الدوقة. لكن سيسركما أن تعلما أن الامور اتضحت الآن. تبيّن للسنيور روسي أن إحدى القلادات الثلاث هي قلادة أصلية صنعها «توسلي» من أجل ماريا - لويجيا».

أخذ الكل ينظر إليهن مشدوهاً.

- لسبب ما لم يتضح بعد، صنع الحرفي قلادتين متماثلتين. ومن هنا، يبدو أن الاسطورة التي تقول إن بعض الاسلاف سافروا إلى أميركا، لم تكن أسطورة على الاطلاق.

- ماذا؟ لكن البحارة قالوا...

- سيدتي... هل لي أن اقدم لك أقرباءك؟ أولهن رينا وأمبرتو، دوق فارانو من أسرة بارما - بوربون.

شهقت غرير واختاها بصوت عالٍ فالمرأة التي تعرفن إليها لتوّهن هي والدة ماكس من دون شك.

لكن هذا يعني أن مساعد القبطان هو ابن دو... وقال لهن فابيو: «هيا بنا يا آنسات سأقدمكن إلى مضيفكن الليلة فيوليتا فارانوا. شقيقة أمبرتو وزوجة جان لويس - دوق فالكون من أسرة بوربون..

دوق آخر ووالدة لوك اسمها فيوليتا؟

كلا... وتصاعدت آهة أوليفيا مع آهتها.

ابتسم والدا لوك ابتسامة عريضة: «إنها مفاجأة غريبة».

بقيت غرير تترنح وقد أصابها الدوار من أثر الصدمة وعجزها عن استيعاب كل ما حدث.

- وهذه ماري فارانو الاخت الثانية «لامبرتو» المتزوجة من «جوان - كارلون» «دوق باسترانا» من «اسرة بوربون».

- يا لها من لحظة ممتعة لاسرة فارانو! على نيكولا أن يفسر لي كل هذا. إنه الخبير في الاسرة.

وكانت والدة نيك هي التي تكلمت بسرور صادق فانطلقت من فم بابير ضحكة هستيرية. من حسن الحظ أن فابيو رافقهن وراح يقدمهن إلى باقي الضيوف، الذي قد يكون أحدهم مسؤولاً عن سرقة مجموعة مجوهرات قصر الدوق.

اقتربت الشقيقات من بعضهن البعض لحظة أخذت أثناءها أوليفيا نفساً عميقاً ثم قالت: «لوك فالكون سيتمنى لو أنه ليس بحاجة إلى عكازه

لانني عندما أمسك به سوف..».

وناداهنَّ فابيو: «آنساتي، هل لي أن اقدم إليكن «إيزابيلا فارانو»زوجة» جيوفاني لوكيزي...».

- وأختي الوحيدة.

وكان دخول ماكسيمليانو الفخم هو الروعة بعينها.

كانت إيزابيلا بجمال أخيها، لكن غرير رفضت أن تنظر إليه.

لم تستطع أن تفهم ما يجري من حولها.

وإذا بصوت ماكس الرنان يعلو ويتردد في زوايا القاعة: «أرجو منكم أن تعذروا بنات عمنا الدوقات الجميلات. إنهن بحاجة إلى الراحة بعد الليلة التعيسة التي أمضينها في «سجن كولورنو».

وسرت بين المحتشدين همهمة تنبئ عن العطف.

- وبعد تحررهن اخترن التنقل على الدراجات الهوائية مدة أربع ساعات في الشمس الحارة ليرين منطقة أسلافهن الريفية. ولسوء الحظ صادفن بعض المشاكل التي اقتضت تدخلي للمساعدة مرة أخرى.

نظرت غرير إليه بخفة... وكانت هذه غلطة مريعة، فقد كانت عيناه تضحكان لها.

وتابع ماكس قائلاً: «أنا واثق تماماً من أنهنَّ مرهقات لكنهن سحرن الحراس وواجهن محنتهن المؤلمة بكل كبرياء وروح دوقة بارما السابقة نفسها. آنساتي؟ هل لي أن أكون أول من يرحّب بكن في الأسرة؟».

سخريته أمام هؤلاء الشهود الذين راحوا يصفقون بعد هذه الخطبة المحيّرة جعلت الكيل يطفح.

وقالت باسمة: «شكراً. لقد سرّنا للغاية لقاءكم».

وخرجت من الباب بكبرياء فيما لحقت بها شقيقتاها. بعدئذ، اندفعن يصعدن السلم إلى جناحهن كحمامات يعدن إلى أعشاشهن.

ما أن أقفل الباب حتى التفتت غرير إلى شقيقتيها بوجه ملتهب: «نحن نعلم أننا لسنا اقرباء، فكيف يجرؤ على السخرية منا بهذا الشكل؟ سنرى

من سيضحك أخيراً. لن نسمح بأن يشمتوا بنا ويشحنونا إلى أميركا كأي شخص غير مرغوب فيه. يبدو أن تلك هي خطتهم حالما ينتهون من استغلالنا».

بدا الحزم على وجه أوليفيا وقالت: «لقد جئنا لنرى السباق وهذا ما سنفعله».

فتمتمت بايبر: «يمكننا ان نهرب من الشرفة، وهذا سهل يمكننا أن نقفز إلى الارض ثم نختلط بالجموع قبل أن يكتشفوا رحيلنا».

سارت غرير إلى حقيبة أمتعتها وهي تقول: «هذه العملية تحتاج إلى بنطلون جينز وقميص مقفل. لكن علينا أن نرتدي بذلات السفر عندما ندق الجرس للخدم».

وخلال دقائق، جاء بعض الخدم لينقلوا الحقائب إلى السيارة.

وما أن أغلق الباب حتى خلعن بذلات السفر وعلقنها في الخزانة، ثم ارتدين ملابسهن العادية وانتعلن احذيتهن الخفيفة.

اجتمعن في الشرفة. وهمست بايبر قبل ان تقفز أولاً: «الفرد للكل، والكل للفرد».

ولحقت بها أوليفيا بسرعة ثم غرير. تملكتهن الاثارة عندما اكتشفن شارعاً ضيقاً أمامهن فأخذن يركضن نحوه باتجاه المرفأ.

وعندما خرجن إلى الشارع الرئيسي مرة أخرى مررن بعمال يدهنون علماً عليه كلمة «فيلون».

وقفت أوليفيا مكانها: «انظرن، يا بنات..».

- رأينا ذلك نحن أيضاً.

وفجأة، رأين مجموعة من الفتيان الفرنسيين في بداية العشرينات فانضممن إليهم. كانوا يتحدثون بإنكليزية ضعيفة ما جعل الأمر مسلياً.

لأول مرة منذ وصولهن إلى أوروبا، عوملت الفتيات بشكل ملوكي.

وظهرت أول أشعة شمس وابتدأ السباق. كان زعيق المحركات يملأ أجواء موناكو. كان المعجبون ينتشرون على الطرقات وفي الشرفات،

وعلى النوافذ، عندما مرّ «سيزار فيلون» هادراً، فانفجرت ضجة هائلة تصم الآذان.

نظرت غرير إلى أوليفيا التي احتضنها أحد الفتيان بفعل هذه اللحظة المثيرة، ثم وكزت بايبر قائلة: «يبدو أن هذه الرحلة كانت من أجل أختنا».

- يسرّني أن تعود إحدانا بذكريات حسنة.

- متى تريدين أن نذهب إلى النزل الذي أخبرنا عنه سيمون؟ يكاد يغمى عليّ بسبب قلة النوم.

- انت لست الوحيدة. لنذهب.

نادتا أوليفيا التي أومأت ثم توجهت نحوهما. وعندما ابتعدن، قالت: «رسم لي جيرارد خريطة يا بنات. المكان يبعد حوالى ساعة من هنا».

- بعد ركوب الدراجات الهوائية أمس، سيكون هذا سهلاً.

أعطى ماكس تعليماته لقائد الهيلوكوبتر بأن يطير فوق المركب «بكسيوني» مرة أخرى. منذ تبيّن أن حماماتهم طرن من شرفة الفيلا، بينما هو وابنا عمتيه يستحصلون من فابيو على معلومات عن رد فعل الضيوف على الخبر، شرعوا في البحث ولم يجدوا أثراً لهن.

رن هاتفه الخلوي. وكان المتصل هو نيك الذي يبحث مع الشرطة: «هل وجدتموهن؟».

- لا لقد بحثنا في كل الفنادق. ماذا عن المركب؟

فأجاب ماكس: «يقول فابيو إنهن لم يطأنه. انتظر يا نيك. لوك يتصل».

وقال محدثاً لوك: «أي أخبار؟».

- رأيتهن لتويّ على شاشة التلفزيون مع فتيان من طلاب الجامعة على مدّرج. كانوا يحملون أعلاماً عليها اسم «فيلون».

- يا إلهي. لم أعرف أين كان عقلي فلم أفكر بهذا.

أقفل الخط وأعطى الطيار تعليمات جديدة ثم اتصل بنيك وأبلغه

بالوضع.

أجابه نيك بلهجة بدت عاطفية إلى حد غريب: «أنا في طريقي إلى هناك مع الشرطة».

هل عاد نيك إلى الحياة بعد هذه الأشهر؟؟

استعمل ماكس منظاره ليبحث عنهن لكنه لم ير الوجه الذي كان يتطلع إلى رؤيته. لم يرَ أيّ شعر ذهبي. إدراكه أن النسوة الثلاث هربن من المشهد صدمة للغاية.

لكنه بقي ينتظر وصول نيك... وبعد دقائق وصل ابن عمته في سيارة الشرطة، وسرعان ما بدأ عناصرها يستجوبون كل شخص على المدرج.

وبعد حين، تلقى ماكس الاتصال الذي ينتظره: «نيك؟».

- ذهبن إلى «نزل» في شارع «برنس بيير».

هذا لا يصدق.

صرف ماكس بأسنانه بعنف حتى الألم: «كم يلزمنا من الوقت لنصل إليهن؟».

- اربعون دقيقة تقريباً.

- هذا يكفي لكي يدير لوك الأمور حسب رغبتنا. سأقابلك في الفيلا.

وبعد أن أنهى المخابرة، اتصل بلوك وأخبره بكل ما جرى.

- دع الامر لي يا ماكس، إلى أن تصلا إلى هنا، سأتمكن من أن أرتاح وأنام قليلاً.

ينام؟ ما معنى هذا؟

منذ اللحظة التي تبع فيها غرير إلى كنيسة «سانت جورجيو» في «بورتو فينو»، وحين لمح وجهها لأول مرة على ضوء الشموع، تحرك دمه بشكل لم يعرفه من قبل.

بشرتها الرائعة التي كانت تتألق كاللؤلؤ الطبيعي، وعيناها

البنفسجيتان... كل هذا جعله يتسمّر مكانه في الظلال.

كان قوامها رائع الجمال في ثوبها الجميل الذي يكشف مفاتنها الانثوية. إنه من النوع الذي يزداد جمالاً عندما تصبح أماً. لم تغب عنه هذه الصورة وهو يغادر الكنيسة، جائعاً متململاً من الامر الوحيد في الحياة الذي يهرب منه!

- ماكس؟

- نعم؟

- هل أنت بخير؟

- طبعاً.

١١ - سقط القناع

- ليس لدينا غرف مستقلة يا آنسة. غرفنا واسعة وفيها أربعة أسرّة مثبتة في الجدار، وهي تتسع لثمانية أشخاص. حالياً لدينا أربعة اسرة فقط.

التفتت غرير إلى أختيها: «لا أظنني أستطيع البقاء من دون نوم».

فتمتمت بايبر: «ولا أنا. يمكنك أن تراهني على أن هذه الاسرّة الأربعة هي الوحيدة الخالية في موناكو كلها».

عندئذ، أخرجت غرير محفظتها وناولت موظفة الاستقبال بطاقة اعتمادها.

أعطتهن المرأة الملاءات النظيفة والبطانيات والوسائد وهي تقول: «إنكن في الغرف رقم أربعة وخمسة وستة في الطابق العلوي».

حتى أنهن لن ينمن في الغرفة نفسها: «شكراً».

نظرت أوليفيا من حولها وقالت: «إذا كنا محظوظات، فلن يأتي أحد قبل حلول الليل. وسنكون قد نمنا فترة ثم نخرج ونتجه إلى محطة القطار».

- علينا أن نستعد في السابعة مساء ما سيمنحنا الوقت الكافي لنستعيد نشاطنا.

وبشكل ما تمكنت غرير من تسلق السلم لتصل إلى السرير العلوي وتنهار عليه. لكنها بقيت مستيقظة.

بقيت آخر كلمات قالها ماكس للضيوف في غرفة الاستقبال تتردد في ذهنها «أهلاً بكن في الاسرة».

كانت سخريته تمثل الاهانة الاخيرة العلنية لها قبل أن يرسلها إلى

www.elromancia.com

وطنها بالطائرة من نيس. وكانت مؤلمة بشكل خاص وهي تعرف السبب... فقد عرفت الحب لأول مرة في حياتها منذ عرفته.

وانهمرت من عينيها دموع ساخنة، فدفنت وجهها في الوسادة. حمداً لله لأن أختيها ليستا معها في الغرفة فهما لم تريا تبكي بسبب رجل من قبل، ولن يحدث هذا.

عندما أيقظها صوت المنبّه، انقلبت إلى جنبها الآخر لكي تسكته كعادتها وإذا بها تصرخ وهي ترى نفسها تسقط عن السرير.

وصرخت مرة أخرى وهي تشعر بذراعين قويتين تمسكان بها قبل أن تصل إلى الأرض.

- لا بأس عليك، يا سنيورا.

- ماكس!

أخذت تحفق بأجفانها وهي تحاول أن تتأكد مما إذا كانت مستيقظة أم تحلم. لكن العينين السوداوين حملقتا فيها وقد تصاعد اللهب منهما.

- ما الذي تفعله هنا وكيف وجدتني؟

كانت تشعر بفيض من الحب له والغضب منه في الوقت نفسه ما جعلها لا تستطيع التفكير بشكل سوي: «أين الآخرون؟».

- من؟ ألا استحق حتى كلمة «شكراً» لإنقاذي حياتك؟

توسلت إليه لاهثة: «ضعني على الأرض أولاً ثم نتحدث عن ذلك».

لم تستطع أن تفكر وهي قريبة منه إلى هذا الحد.

- لا استطيع أن أفعل ذلك يا جميلتي. تعلّمت أن الطريقة الوحيدة لأحصل على أي شيء منك هو أن أبقيك بين ذراعي. أنا أريدك يا غرير. أريدك بلهفة وجوع لا يمكنك أن تدركيهما.

اشتبكت يداها بشعره الأسود، ووجدت نفسها تحتضنه بقوة وتستمتع بالاحساس برجولته.

قال بصوت أجش: «كنت محقة عندما سميتني «سمكة القرش» لأنني أريد أن ألتهمك لأشعر بأنك جزء مني».

ولامس عنقها بأنامله ثم تابع متوسلاً بشوق بدائي: «لكنني لن أفعل ذلك لأنني إذا التهمتك فلن يبقى منك شيء ما يجعلني مجنوناً جوعاً إليك. دعيني أعيدك إلى المركب حيث يمكننا أن نكون وحدنا فأملأك حباً».

تعود إلى المركب؟

شعرت بالجفاف يغزو قلبها. وادّعت عدم فهمه، فابتعدت قليلاً وقد بدا في عينيها ألم عنيف لم تعرفه من قبل.

- جعلتني غاية في السعادة. إنني خائفة. أتظن أن بإمكانك أن تقنع فابية بأن يعطينا المركب لتمضية شهر عسل طويل طويل؟ أريد أن اذهب إلى «إلبا» و«مونت كريستو» وإلى مئات الجزر الأخرى معك. أريد أن أختبر كل شيء معك.

- لقد اشعلت كياني، وأنا الآن هو من يتفجر حباً، أريد أن أغرقك به. أريد أن أكون كل شيء لك. أريد أن أعيش معك ليلاً ونهاراً.

فصرخت: «أريد أن أنجب أولاداً منك.. أولاداً أذكياء... أولاداً رائعين كأبيهم بالضبط. لن يكون مقدراً لك أن تسبح وحدك إلى الابد. عندما نتزوج يمكنني أن أكون لك متى وأينما شئت، متى شئنا نحن الاثنين، وذلك بقية حياتنا إذا شئنا. ما رأيك في هذا، يا حبيبي؟ نعم، انت حبيبي».

ولامست بأناملها جانب فمه وهي تتابع: «ألا تعلم أنني سأحبك كل يوم أكثر مما أحببتك أمس؟ ما من رجل مثلك ماكس. أنا أحبك من كل قلبي... ومن أعماق روحي. لم أكن أعلم أن الحب سيجعلني أشعر بهذا الشكل. لم أكن أدرك».

وتسارعت أنفاسها ثم قالت: «ضمني إليك مرة أخرى لأعلم أن هذا حقيقي».

وأخذت تلهث وهي تعود لتقول: «أنا متلهفة لان أكون زوجتك. أدرك أننا لم نعرف بعضنا البعض بما يكفي. لكن هذا ليس مهماً بعد أن يجد الشخص توأم روحه... مثلي».

وحدّقت في عمق عينيه السوداوين قبل أن تقول: «نحن توأم في الروح. عرفت ذلك عندما طلبت مني أن أخمن اسمك، مدركاً أنها مهمة مستحيلة. وكانت هذه من أكثر اللحظات إثارة بالنسبة إليّ، لأنني أدركت أنك تريدني أن أحاول وأحاول ولا أتوقف أبداً. وأنا ايضاً أردت ألا أتوقف ابداً. أردت أن أسبح معك في ضوء القمر أكثر من أي شيء آخر في حياتي. لكن مشاعري في تلك الليلة كانت عنيفة أكثر مما ينبغي وبدائية للغاية. شعرت وكأنني نجمة في الفضاء على وشك الانفجار. آه، يا ماكس، أنا..».

هتف باسمها بلهجة خطرة: «غرير..».

كانت أنفاسه ممزقة، وقميصه يعلو ويهبط بشكل ملحوظ وكأنه وصل لتوّه من سباق. لقد أخافته.

هذا ما تنبأت به لشقيقتيها منذ أشهر، وقد تحقق. أدركت أنه سيهرب حالما تأتي على ذكرالزواج، لكنه يؤلمها بشكل لا يمكن الشفاء منه.

نظرت إليه وهي تسأله: «ما الذي حدث يا حبيبي؟».

أخذ يحك رقبته، وهو يتفحصها بنظرات معذّبة. لم تكن تعلم أن بإمكانه أن يبدو بهذا الشكل.

- نسيت أنني أتعامل مع امرأة يبدو جلياً أنها لم تعاشر أيّ رجل من قبل.

هل عدم خبرتها واضحة إلى هذا الحد؟ هل تجاوبها العنيف معه طيش لم يلمسه لدى أي امرأة خبيرة عرفها من قبل.

قالت بلهجة مرحة: «لا، لم يحصل هذا. لم يساورني مثل هذا الشعور إلا بعد أن رأيتك خارجاً من تلك البحيرة متجهاً نحوي وكأنك تريد أن تلتهمني. ومنذ ذلك الحين لم أعد أفكر سوى في الزواج منك وتمضية بقية حياتي معك».

ساد صمت طويل خرقه قائلاً: «غرير..».

نطق باسمها مرة اخرى. يبدو أن فتى الريفييرا العابث أصبح يختنق

حين يتكلم... ولا بد أنها المرة الأولى بالنسبة إليه، فلِمَ لا تقفز هي مرحاً وغبطة؟

أخذ يتخلل شعره بيده: «أظن أن اصطحابك إلى المركب بكسيوني لن يفيد بشيء على أيّ حال».

لقد استطاع أن يلفظ الكلمات أخيراً. لكنها خرجت أشبه بهمس معذب. يا للغرابة! لمَ كل هذا الاضطراب وهو الذي اعتاد ان تلقي النساء أنفسهن عليه؟ لما هذا الألم الذي جعله ينكر على نفسه حتى الاستمتاع مع عذراء أميركية؟ وصرخت به بغزع زائف: «ماذا تعني؟».

وعندما لم يجب، قررت أن الوقت حان لمساعدته فقالت: «لِمَ لا تعترف بأنك تحب أن تعاشرني ولكن من دون عقبات!».

- غرير...

فضحكت. لو كانت شقيقتاها موجودتين لوصفتا ضحكتها هذه بالقاسية. وتابعت تقول: «لا تقلق، يا ماكس. فهذه ليست نهاية العالم. أنت غير مرتبك ولطالما كنت كذلك».

- أوضحي كلامك.

ابتسمت له وهي تضع يديها في جيبيها الخلفيين: «يسرني ذلك. في السجن، عندما أخبرتك عن «مال التوفير» أظننا تحدثنا عن أمور كثيرة لكننا أغفلنا أكثر الأجزاء أهمية».

فسألها ببرودة كالثلج: «أي جزء؟».

أمالت رأسها جانباً: «هذا سيأخذ دقائق عدة. أتحب أن تجلس أولاً؟».

وعندما فضل الوقوف، قالت: «كما تشاء».

وعادت تبتسم له: «أنا وشقيقتاي لم نهتم بالزواج قط. والدانا فقط كانا مهتمين».

بدا عبوسه مخيفاً: «تطرقنا إلى هذا الموضوع من قبل».

- هذا صحيح، لكن ثمة المزيد. عليك، لسوء الحظ، أن تكون

صبوراً لانني امرأة وأنت تعرف النساء. عليهن أن يجلّلن، ويتحدثن ويشرحن قبل أن يصلن إلى لب الموضوع. وهذا أحد أكبر عوامل الاختلاف بين الجنسين التي يعاني منها الرجال، خصوصاً أمثالك.

توترت شفتاه. وسرّها هذا، رغم أن قلبها راح يذوب بسرعة وهي تتابع: «والدانا كانا مهتمين بالموضوع إلى حد أن والدنا طلب في وصيته أن نشاهد فيلماً عن سيدات حاولن أن يعثرن على رجال أثرياء للزواج..».

- شاهدت ذلك الفيلم.

- طبعاً. على أيّ حال، سعيا لاقناعنا بأن تبحث كل منا عن رجل غني تتزوجه وتستقر معه. كان الفيلم فاشلاً تماماً.

وتوقفت لحظة عن الكلام ثم عادت تقول: «أنت تذرع الغرفة ذهاباً وإياباً. لمَ لا تجلس؟ أخبرتك ان هذا الموضوع يأخذ وقتاً».

فكادَ يقتلها بنظراته: «استمري».

بعد أن مات أبي، انتقلنا إلى شقة جديدة لنبيع بيتنا ونسدّد ديوننا. أظننا لم نلاحظ أننا بحاجة إلى فترة راحة إلى أن لفتت صاحبة البيت نظرنا إلى ذلك.

«عندما استلمنا المال، رأينا أن نقصد مكاناً مثيراً. تمنينا فقط لو أن ليس علينا ان ننفق المال للبحث عن زوج لا تريده اي منا. عندئذ، ذكرتنا أوليفيا بأننا دوقات كينغستون فتساءلنا عما يمنعنا من أن ندعي أننا مليونيرات ونرى كم عرض زواج سينهال علينا؟ حينذاك تساءلت بايبر عما يمنعنا من أن نلبس قلادات الدوقة لكي نجذب الفتيان العابثين.

كانت الفكرتان رائعتين، فاقترحت أنا أن نمضي إجازتنا على الريفييرا. إذا عرض علينا الزواج اي فتى عابث، فسيهرب إذا ادعينا أننا دوقات فقيرات من كينغستون، نيويورك، وأن لدينا اللقب لكن من دون نقود أو أملاك. عندئذ، يمكننا ان نعود إلى الوطن بعد أن نكون قد أمضينا إجازة خرافية زرنا فيها موطن أسلافنا وسوّقنا لعملنا في

التقاويم».

بدت عينا ماكس أشبه بقطعة جليد سوداء ثم قال: «لو عرضت عليك الزواج..».

- لو عرضت عليّ الزواج بشكل محترم ومناسب لأخبرتك الحقيقة عن نفسي، مدركة أنك ستسامحني.

- ما الذي تريدينه بالضبط؟

ها... إن غروره الايطالي يعود من جديد.

- أظنني أوضحت لك ذلك من قبل. لكنني أكرره الآن! هذا بالضبط ما أردناه أن يحدث. ألا ترى؟؟ كان علينا أن نطيع والدنا حين نصحنا بالزواج لكن ماذا علينا أن نفعل إذا تراجع خاطبونا عندما علموا أننا فقيرات.

وابتسمت له ابتسامتها الشيطانية قبل أن تضيف: «لم يكن عليّ أن أقلق من ناحيتك، اليس كذلك؟ ماكسيميليانو فارانو يخرج قبل الأوان... لأنك لن ترغم أمرأة على أن تقيم علاقة معك، كما أنك لست غبياً وإلا لما كنت كبير مستشاري أسرة بارما - بوربون حتى لو كنت ابن دوق».

- شكراً، يا آنسة.

كان هذا جوابه المختصر. فرفعت حاجبيها: «أهلاً وسهلاً. هل تريد أن تعرف ما يدعو للسخرية حقاً؟ عندما وضعنا مشروعنا، قررنا أن نظهر شخصياتنا الحقيقية في نزل للشباب فقط لنثبت وجهة نظرنا. لكني لم أخطط كي يكون المكان هذا الذي نحن فيه. لسوء الحظ، لا شيء سار حسب توقعاتنا، وقد خسرت متعة أن أقول لأحدهم «آسفة». لا أملك نقوداً... ولا تاجاً. ماذا؟ أتعني أنك ستسحب عرض الزواج هذا؟ حسناً، لا تغضب بل اذهب وحسب».

كان وجهه قد أظلم وكأن الشمس كسفت وسألها: «ماذا لو أن أحد أولئك... الخاسرين لم يرضَ وينفذ طلبك؟».

فضحكت: «نوع الرجال الذين خططنا لاستهدافهم هو النوع الآمن. لكن تزيننا بالقلائد أفسد كل شيء. هل فهمت ما أعنيه؟».

وتابعت عندما لم يجب: «لكن الحظ لم يسمح لنا بأن نتعرف إلى فتى عابث حقيقي».

- ثمة سن معيّنة، إذن؟

- بالضبط.

- كم عمر «دون»؟

«دون» مرة اخرى؟

- إنه في سن مناسبة لكنه ليس فتى عابثاً، إنه رجل ممتاز يريد أن يتزوجني وينشئ أسرة. ستة أولاد صغار يكبرون ليصبحوا لاعبي كرة قدم.

- وما العيب في هذا؟

- لا عيب أبداً إذا كنت تحب كرة القدم. أنا لا أكرهها وهي مثيرة تماماً أحياناً لكنني أفضّل ألّا يُنظر إليّ بصفتي أداة «لتفريخ» الاولاد».

- «لتفريخ» الاولاد؟

- أفضّل أن يُنظر إليّ بصفتي امرأة أولاً. امرأة كاملة داخلاً وخارجاً. أعني، ماذا لو لم استطع إنجاب أولاد؟ هل هذا سيجعلني غير مرغوبة في عينيه؟

رفع ماكس حاجبه: «منذ دقيقة أخبرتني أنك تريدين مني أطفالاً أذكياء رائعين مثل ابيهم».

- كان ذلك مختلفاً. كنت تعانقني وتقول إنك متلهف إليّ إلى حد غير معقول. لا تريد سوى الاستمتاع بي كقطعة شوكولا. لقد أحببت ذلك فأنت لم تكن تنظر إليّ كأم للانجاب.

ضاقت عيناه وهو ينظر إليها: «لكنك اعترفت بأنك تريدين أن تكوني أماً يوماً ما».

- حسناً، نعم. يوماً ما. عندما أصبح جاهزة للزواج. وقد أنتهي

مع رجل مطلّق ولديه أبناء.

- ظننتك تريدين أن تتزوجيني.

- هذا صحيح. لكنني، ايضاً، لدي عقل وعينان تريان أنك لست للبيع وإلا لتزوجت امرأة من طبقتك ونشأتك وذلك منذ سنوات.

- كلامك صحيح. ثمة سبب لعدم زواجي.

- أنا واثقة من أنه سبب وجيه فالمآسي لا تراعي الاشخاص.

- المآسي؟

- نعم. أنت من قال إن ثمة جراح غير مرئية فتكوّن لدي انطباع بأنك تحاول أن تخبرني شيئاً ما. أنت حقاً «السيد الغامض». على أيّ حال، ثمة أمور أعرفها عنك. اولاً، أنت لست بالرجل الذي يعبث مع النساء بينما زوجته في البيت تحاول بيأس أن تدّعي بأن ذلك لا يزعجها. وثانياً، أنت لا تستغل العذارى الحمقاوات، بل على العكس، تندفع لتنقذهن من مصير أسوأ من الموت. فلا أظنك من النوع الذي يغوي النساء المتزوجات فأنت لست بحاجة إلى ذلك وكل فتاة في بارما مستعدة لبيع روحها لتكون المرأة في حياتك. أظن أنك رجل نادر يا سنيور دي فارانو. والآن، حان الوقت للبحث عن شقيقتي. علينا ان نلحق بالطائرة.

فهزّ رأسه: «الوقت ما زال مبكراً، وهما الآن على ظهر المركب تنتظرانك».

- بالنسبة إلى رجل محترم مثلك، يجب أن أقول إنه من القسوة منك أن ترحب بنا في أسرتك بعد أن ذكر سنيور موريتي تلك الكذبة عن قلاداتنا. لن أصفح عنك قط لهذا».

لكن الحقيقة هي أنها لا تستطيع الصفح عنه لعدم حبه لها.

- حذار يا آنسة، أحياناً لا تكون الأمور كما تبدو.

- وماذا يعني هذا؟

- سأدع نيك يخبرك هذا المساء أثناء استمتاعنا بوجبة طعام على سطح

المركب.

- بعدئذ، هل ستمنحنا حريتنا؟؟

- سأفعل ما هو أفضل من ذلك، عندما ينتهي الاحتفال، سأقسم يميناً على ضريحي والديك بأن آخذك إلى اي مكان تريدين الذهاب إليه.

لا تظن أن ماكس سيأتي على ذكر والديها إذا لم يكن مخلصاً. وقالت: «حسناً جداً، إذن أنا جاهزة».

بعد أن تحركت بهما السيارة، التفت إليها: «أنت سهلة التكيّف».

- أنا كذلك حين أهرب ناجية بحياتي.

قهقه بضحكة عميقة: «كما فعلت حين قفزت من الشرفة».

- هل سجلتم فرارنا ثم راقبتم تحركاتنا حتى قررتم أننا حصلنا على ما يكفي من النوم؟

- لا، يا آنسة، بل انتظرنا في سيارة الليموزين لكي نخطفكن ونعود بكنّ إلى المركب لتناول وجبة منتصف الليل.

لم تستطع أن تمنع نفسها من الضحك لهذا الاعتراف وقالت: «الوجبة التي أعدها لوك طبعاً».

- في الواقع الطاهي هو «مارسيل» وهو أحد طهاتهم الذي لم يكن مسروراً حين لم يحضر أحد لكي يأكل من طعامه.

- وكيف عثرتم علينا؟

- رأكن لوك على شاشة التلفزيون تستمتعن بوقتكن مع مجموعة من المعجبين.

وعادت تسأله: «فكرة من كانت أن يقدموا لنا ذلك الخبز المخيف في سجن «كولورنا؟».

- كان ذلك مختلفاً.

كانت موناكو في مهرجان كبير وكذلك سطح المركب «بكسيوني» المغطى بإحدى المظلات الزرقاء واكتشفت أن أختيها وابني عم ماكس يتبادلون الطعام مع ضيف غير متوقع يشبه لوك بشكل طفيف.

عندما قدمها ماكس، نهض الرجل ليصافحها. فبدا في منتصف العشرينات من العمر.

- أقدم لك ابن عمتي الاصغر سيزار يا غرير دتشيس. ستعرفينه باسم سيزار فيلون.

فيلون؟ وتحولت عيناها إلى أوليفيا بارتباك.

تمتمت أختها وقد بدت مبهورة تماماً: «إنه شقيق لوك الأصغر».

وهتفت غرير بنعومة: «سائق سيارة السباق... هذا يعني..».

فقال بالفرنسية: «نعم، يا آنسة».

- أختي من كبار المعجبين بك. يسرني جداً أن أتعرف إليك. رأيناك صباح اليوم قرب الموقف. أين حللت في السباق؟

- جئت ثانياً.

- هذا رائع، تهاني.

- شكراً، في البداية لم أكن مسروراً، لكن منذ قدّمني لوك إلى أختك اكتشفت أنني لم أخسر كل شيء. حسناً، بما أنك هنا الآن سننتقل إلى نادٍ تقام فيه حفلة على شرفي، وسأكون مسروراً جداً إذا جئت معنا.

فأجابه ماكس عنها: «ربما في ما بعد يا سيزار. لأننا، أنا والسنيورة غرير، لدينا احتفال صغير يخصنا علينا القيام به».

تحولت النظرات كلها إلى ماكس. لم تستطع غرير أن تتصور ما الذي يتحدث عنه. لكن عندما التفتت إليه، كان يحدّق في نيك: «ألم تخبرهم بعد؟».

- لا. كنا ننتظرك.

ساعد ماكس غرير على الجلوس في مقعد بجانب بايبر، ثم جلس بجانبها وذراعه حول ظهر كرسيها.

كانت تشعر بحرارته من خلال قماش قميصها فذاب قلبها.

تألقت ابتسامة نيك البيضاء في ضوء الشموع بينما بدت ملامح لوك الفتاكة من الرزانة والشهامة بشكل لم ترها به من قبل.

- آنساتي، عندما أعلن فابيو موريتي أنّ إحداكن تحمل قلادة أصلية كتلك التي في مجموعة ماريا - لويجيا المفقودة، لم يكن يكذب لكي يطمئن السارق فيخرج إلى العلن.

شهقت أختاها لكن غرير التفتت إلى مضيفها تتحقق منه، فقال ماكس: «هذا صحيح. وهكذا، أنتن بنات عم لنا. وفي الوقت المناسب ستزيل ذلك الغموض. أما حالياً، فنحن ننوي ان نقبض على المسؤولين عن السرقة وهذا ما جعلني أرحّب بكن في الاسرة. لكن ثمة سبب آخر ايضاً».

وفجأة، أمسك بيدها بحيث يراه الكل ما جعل قلبها يخفق عالياً.

- الحياة مليئة بالمفاجآت. وذات يوم منذ زمن بعيد، أتحفتني بمفاجآة سيئة للغاية. منذ وقت قريب جداً، وعندما كنت في لندن تلقيت اتصالاً من السنيور «غالي» من مطار جنوى. باختصار شديد، أدخل ذاك الاتصال غرير دتشيس إلى حياتي. أدركت أنني وقعت في حبها منذ اللحظة التي وقعت فيها عيناي عليها في كنيسة سان جورجيو.

كان هناك.

- لكنني لم أكن واثقاً من أنها ستقبل بي زوجاً إذا أخبرتها بأنني لا أستطيع أن أمنحها أطفالاً. فإصابة قديمة او لعنة كرة القدم كما تسمى حلّت بي فحرمتني من هذه القدرة.

انقطعت أنفاس غرير، لكنها لم تستطع أن تمنع الدموع التي سالت من عينيها لخيبة الأمل التي عانى منها حين علم أن ليس بإمكانه أن يصبح أباً.

- هذه الليلة بددت غرير مخاوفي وطلبت مني أن أكون زوجها.

وبدت البهجة على أختيها: «غرير!».

لكنه استمر في الكلام: «وأرجو أن يكون ذلك إيذاناً بالقبول. لأنني أريد أن يعلم كل شخص هنا أنني قبلت عرضها».

- ماكس.

- لم نناقش كما لم نحدد موعداً. نريد أن نمضي بقية الإجازة على المركب بكسيوني لمزيد من التعارف ومعرفة بعضنا البعض. إننا، بحسب علمي، لم نتناول وجبة طعام معاً.

وتحولت نظراته إلى أختيها: «ما دام والداكما غير موجودين، فهل توافقان على زواجي بها؟ أدرك أن هذا السؤال شكّل صدمة كبرى لكما».

فهزت أوليفيا رأسها: «لا. ابداً».

ووافقتها بايبر: «لا، ابداً. علمنا أن هذا ما سيحصل في النهاية عندما رأيناكما تتعانقان في غرفة الجلوس».

وقالت أوليفيا مؤكدة: «فهي لا تفعل شيئاً كهذا عادة».

- في اللحظة التي علمنا فيها أنها غطست في مياه بحيرة «سبلينديدو» لتسبح معك، أدركنا أن خطتنا نجحت وأصبحت النهاية مسألة وقت.

جمدت غرير مكانها: «ماذا تعنين بأن خطتكما نجحت؟».

- من تظنين أعطى أبانا فكرة توفير المال للزواج؟ إذا لم تتزوجي أنت اولاً، فلن يكون لدينا أي أمل في الزواج بما أنك الممانعة دوماً، فقررنا ان نحلّ المسألة.

- انت تمزحين. أتعنين أنكما، ومنذ البداية، جعلتماني أعتقد...

فتدخل ماكس وهو يأخذها بين ذراعيه: «إذا سمحتم جميعاً، أريد أن آخذ خطيبتي إلى أسفل وأجعل خطبتنا رسمية».

وعندما وصلا إلى السلم، ضمها إلى صدره بقوة وقال بمشاعر محمومة: «أنت تعلمين أنني أحبك وأنني أريدك زوجة لي منذ رأيتك في الكنيسة. حياتي بدونك ستكون من دون جدوى، يا غرير».

فقالت تتصنع الدلال: «أتخبرني بهذا الآن؟. لكن ما دمت تطلب ذلك بمثل هذا اللطف والرقة...».

www.elromancia.com